

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُجَرَّدُ
حَدَثَ عِنْ جَهَنَّمِ الْأَطْلَعْ

شوقي أبو خليل

المُحَمَّد
حَدَثٌ غَيْرَ مَجْرِيٍّ إِلَّا تَارِيخٌ

دار الفكر

تصویر ۱۴۰۶ - ۱۹۸۶ م

الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ = ١٩٨٥ م

١٩٨٠ - ٦



جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير، كـ**أينع**
الاقتباس منه، والترجمة إلى لغة أخرى، إلا بإذن خطى من
دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (١٦٢) - س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١٠٤١ - ٢١١٦٦ - برقاً: نكر - تلكس FKR 411745 Sy

تصدير

★ « الذين آمنوا وهاجروا وجاحدوا في
سبيل الله بأموالهم وأنفسهم اعظم درجة عند
الله ، وأولئك هم الفائزون ، يبشرهم ربهم
برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم
﴿ مقيم »

﴿ التوبه : ٢٠ و ٢٢ ﴾

بسم الله القائل في محكم التنزيل : « إن الذين آمنوا وهاجروا وجاحدوا
بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض
والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا^(١) » ،
وله الحمد سبحانه وتعالى *

وصلى الله على سيدنا محمد بن عبد الله ، القائل : « من كانت هجرته إلى

(١) سورة الانفال ، الآية الكريمة : ٧٢ ،

الله عز وجل فهجرته إلى ما هاجر إليه ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيّها
•••
فهجرته إلى ما هاجر إليه » ، وبعد •••

يودّع العالم الإسلامي سنة هجرية ويستقبل سنة هجرية جديدة باحتفالات
كبيرة لها رونقها الخاص لسبعين اثنين :

سنة « ١٤٠٠ للهجرة » سنة هجرية جديدة أولاً ، والأهم ثانياً : هو
وداع القرن الرابع عشر الهجري وحلول القرن الخامس عشر الهجري •

ولمطبع أيّ قرن هجري معنى خاصٌ ، فرسول الله ﷺ يقول : « إنَّ اللهَ
يبعثُ لهذه الأمةِ على رَأْسِ كُلِّ مائةٍ سنةٍ من يَجْدِدُ لَهَا دِينَهَا^(١) » ، ومن
هنا جاءَ البِشْرُ والتَّفَاؤلُ عند المسلمين ، مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري ،
وجاءت الاحتفالات لتناسب جلال الذكرى ، وعظيم البشرى التي زَفَّتها إلينا
رسول الله ﷺ ، مع مطلع كل قرن •

إنَّهَا الهجرة النبوية الشريفة في عامها الأربعين بعد الألف ، تستقبلها
بذكريات وعبر ، وروحانية خاصة ، وأمل عريض في التجديد •

إنَّهَا الهجرة ١٤٠٠ مبدأ تأريخ هذه الأمة المسلمة ، التي ارتضاهَا الصحابة
الكرام ، واختاروها ممَّا سواها من أحداث هامة عظيمة •

ففي السَّنَّةِ الثالثةِ من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
عنه^(٢) ، جمع الصحابة السابقين الأولين ، وقال لهم : إنَّ الأموال قد كثُرَتْ ،

(١) حديث شريف صحيح ، اتفق البخاري ومسلم على الاحتجاج به ، قال المنافي في فتح القيمة :
أخرجه أبو داود في الملاحم ، والحاكم في الفتنة ، والبيهقي في كتاب المعرفة عن أبي هريرة ، وقال الزين
العرّاقى وغيره : سنته صحيح .

(٢) وقيل إنَّ التأريخ الهجري وضع سنة ١٧ هـ ، فإنَّ صح القول فيكون وضع التأريخ الهجري في
السنة الرابعة من خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه ، وسبب وضعه بالإضافة إلى ما سبق أعلاه ، أنَّهم
كانوا يسمون كل سنة بحدثة وقت نهَا ، فسألَه بعض الصحابة في تغيير ذلك لصعوبته على مر السنين ،
كما كتب أبو موسى الأشعري لغير رضي الله عنهما : إنه يأتينا من أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ ،
ولا ندرى بایها نعمل .

وما قسمنا منها غير موقت — أي غير محدد بتاريخ ينضبط به — فكيف التوصل إلى ما يضبط ذلك ؟ لقد رفع إلى صَكْ موعده شعبان ، فلا أدري أي شعبان هو ؟ ! الذي مضى ؟ أم الذي نحن فيه ؟ أم الآتي ؟ ضعوا للناس شيئاً يعترضون به .

ناقش الصحابة الأمر ، وتدالوا في هذه المسألة المهمة ، فمن قائل : اكتبوا على تاريخ الروم ، وسائل : اكتبوا على تاريخ الفرس ، فأبى عمر رضي الله عنه إلا أن يجعل تاريخ الإسلام متميّزاً ، وإشارة إلى حادث إسلامي كبير .

فأشار بعضهم بأن يجعلوه مولد الرسول الكريم ﷺ ، وأشار بعضهم بأن يجعلوه وفاته ، وأشار علي بن أبي طالب كرَم الله وجهه بجعله خروج النبي ﷺ من أرض المشركين ، أي يوم هجرته من مكة إلى المدينة ، فراقت الفكرة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولسائر الصحابة ، لما حققتها الهجرة من انتصار الإسلام وانتشاره ، فاتفقوا على أن يكون مبدأ التاريخ الإسلامي هو وقت الهجرة ، ولهذا سُمي التاريخ الهجري .

ولما كانت الهجرة قد حدثت في ربيع الأول ، فإن آراء الصحابة تعددت حول الشهر الذي سيُعتبر بداية السنة الهجرية ، واتهت آراؤهم إلى الموافقة على رأي عرضه عثمان بن عفان رضي الله عنه ، هو أن يكون المحرّم مبدأ للتاريخ الإسلامي ، لأن المحرّم هو أول السنة العربية في الجاهلية .

وهكذا صار أول المحرّم أول السنة الهجرية الأولى ، ويوافق ذلك لل السادس عشر من يوليه « تموز » سنة ٦٢٢ م ، وظل التاريخ الهجري بشهوره القمرية قائماً إلى اليوم ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها^(١) .

ومن أوضح الأدلة على أن الهجرة — التي نستقبلها ونحتفل بذكرها

(١) راجع « الوعي الإسلامي » العدد : ١٢١ ، غرة المحرم ١٣٩٥ هـ ، مقال الشیخ عبد الله کون ، ص : ٢٦ ، والاستاذ عبد الله الكبير ، ص : ٥٢ ، والدكتور عماد الدين خليل ، ص : ١٢ .

الأربعاء بعدها بـ ١٠٠٠ سنة - حدث عظيم في حياة الإسلام ، أن الصحابة رضي الله عنهم جعلوها مبدأ التاريخ ، فلم يؤرخوا بسولده عليه السلام ، ولا ببعثه ولا بزوجة بدر الكبرى التي سجلت أول انتصار للإسلام على الشرك ، ولا بفتح مكة الذي ظهر البيت الحرام من عبادة الأصنام ورجس الأواثان ، ورفع راية التوحيد على جزيرة العرب ، فأصبحت منارة يهتدى به العالم في ظلمات الجهل والاشراك ، ولا بوفاته عليه السلام .

إن كل هذه الأحداث تصلح لأن تكون مبدأ للتاريخ الإسلامي ، لو لا ما يقترن بكل منها من معنى يتضاعل أمام ما أدى إليه الهجرة من تأثير لانتشار الدعوة .

فالليلد وإن كان هو مبدأ ابشق النور المحمدي ، إلا أنه ربما صرف الناس إلى الاهتمام بذات الشخص ، والإسلام أتى حرباً على هذا الاهتمام ، فإنه قاد النصارى إلى تأله المسيح عليه السلام .

والبعثة في الحقيقة أول مظهر تجلّت فيه عناية الله لهداية الخلق من جديد ، بعد أن انحرفوا عن الصراط المستقيم ، وما أتاهم به الرشّيل السابقون من شرع ودين . ولكن أثرها لم يظهر ظهوراً بيّناً ، ولم يتحقق المراد منها إلا بعد الهجرة ، وقد ذاق المسلمون في أعقابها الأمرين ، وهاجروا فراراً بدينهم إلى الحبشة ، وكانت الأعوام التي تلتها فترة امتحان شديد لهم ، وللنبي نفسه عليه الصلاة والسلام .

كذلك معركة بدر الكبرى وفتح مكة ، فإنهما معركتان هامتان أدان الله عز وجل بهما للمسلمين من عدوّهم ، وأعقبهم نصراً وتمكيناً ، وإننا إذا نظرنا إلى الأمر بعين الواقع ، نجد أنّهما ثمرتان من ثمار الهجرة وخيرها وبركتها .

أما وفاته عليه السلام ، فلم يقل بها أحد " .. لما ينال المسلمين من الحزن عليه ، وتجدد شدة عند كتابة التاريخ بهذه المناسبة المؤلمة .

فالهجرة حدث غير مجرى التاريخ ، إنها المنطلق العملي ، والموقف الحاسم في تاريخ الإسلام ، وكل ما تحقق بعدها من منجزات ، وتتابع من نجاحات وانتصارات ، محسوب عليها ، وراجع إليها .

إنها مرحلة انتقال من أرض حُجِّبَت عنها أنوار النبوة ، وغابت عنها شمس الهدى والمعونة ، فحسبوا الشرك دينا ، وسفك الدماء شجاعة ، واتهالك الحرمات اقداما ، ووأد البنات عفافاً وشرفاً ، وخَيَّلَ إِلَيْهِمْ أَنَّ هَذَا هُوَ السُّؤُددُ والشرف والرفعة والكمال ، ومن لم يسلك طريقهم اجتمعوا على محاربته ، والكيد له ، حتى يخوض باطفهم ، ويمشي في ضلالهم^(١) ٠٠٠ إلى أرض سطع بها نور الإسلام ، وفتحت أبواب الخير عندها ، فكان حادث الهجرة فرقاً بين الضعف والقوة ، والذل والعز ، والحق والباطل ، والخير والشر ، وكان فيها هداية الناس ، وسعادة البشر ، تغير له وجه الزمان ، وانقلب الأوضاع ، وتجلت فيه قوة العزيمة ، وكمال البطولة ، وصدق الإرادة ، وغاية التضحية والإيثار كأثر من آثار الإيمان الحق الصادق ٠

فالهجرة النبوية الشريفة ، المتنفس السليم ، والانطلاق الرائدة ، والداعم المتين إلى البذل والعطاء والتضحية والفداء ٠

إنها الحد العظيم الضخم ، الذي دَلَّ على الإرادة الصلبة ، وعلى تائج الصبر والثبات الطيبة ٠

إنها الحد الفاصل بين الباطل وطغيانه وظلمه وتجبره ، وبين الحق وعدالته وسلامه وسماحته ٠

إنها الهجرة النبوية الشريفة ٠٠ التضحية الكبيرة من النبي ﷺ ومن المهاجرين ، عندما تركوا الأرض والمال والأهل في سبيل العقيدة وحريتها ، والدفاع عنها ، وقد قوبلت بتضحية صادقة من الأنصار ، لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية ٠

(١) من « عظمة محمد » للشيخ عبد الثنئي حادة « يتصرف » .

فالهجرة .. قيام الدولة العربية الإسلامية على أساس راسخة سلية ، وتهيئة الظروف لبقائها واستمراريتها ، ورسمت للحياة العربية وجهاً مسلماً جديداً في كل شيء . وكانت بداية الفتوح العربية الإسلامية العالمية . فانهارت دولة الروم ودولة الفرس .

إن جيش العجل المسلم الذي تربى في مكة قبل الهجرة ، ونظم شؤون دولته بعد الهجرة ، فتح نصف العالم في نصف قرن ، ووصل مُحرر^را مُعَلِّماً داعياً لأسس مبادئ عرفتها الإنسانية حدوداً الصين شرقاً ، وأعمق منغوليا وسيبريا شمالاً ، وضواحي باريز غرباً ، وأعمق القارة الأفريقية جنوباً .

إنه الإسلام - الدين الذي ارتضاه الله لعباده - ، الدين الذي ثبت أركانه منذ الهجرة ، وما يزال إلى يومنا هذا يشغل العالم أجمع من أمريكا حتى اليابان، مروراً بأوربة واتنها^ء بجزر فيجي في شرق استرالية ، أينما اتجهت وجدت مركزاً إسلامياً ، وأتباعاً جدداً ، لصاحب ذكرى الهجرة ، من أبناء الدول الأجنبية . إنه القرن الخامس عشر الهجري .. الذي نأمل أن نرى في سِنِيَّته الأولى من يجدد للأمة أمر دينها ، إنها بشرى رسول الله ﷺ . وما هي إلا عشرون سنة من عمر التجديد وينتهي القرن العشرون للميلاد ، ليبدأ قرن " ميلادي جديد ، وعندها سيكون الإسلام شغل العالم الشاغل ، وتكون أوربة قد وجدت ضالتها، وانتهت من أزمات شعوبها النفسية، ومن فراغها الروحي باعتمادها الإسلام .

ونحن مشاركة منا بحلول القرن الهجري الجديد ، نقدم هذا الكتاب عن الهجرة ، وأسبابها ، وأحداثها ، ونتائجها ، وحَحَظَنا منها اليوم . تبعه بكتاب آخر عن غزوات المصطفى ﷺ ، كأجزاء متممة لسلسلة « المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام » ، وسيكون الجزء الثاني عشر من هذه السلسلة عن « « غزوة بدر الكبرى » إن شاء الله ، آملين من الله التوفيق والعون ، عليه توكلنا ، ففي سبيله نعمل ، ولرضاه نسعى ، إنه من وراء القصد .

شوقي أبوغيليل

الشام في ٢٤ شوال ١٣٩٩ هـ
الموافق : ١٥ أيلول ١٩٧٩ م

الهجرة إلى الحبسة

• فاصدح بما تومر واعرض عن
الشركين •

• قرآن كريم •

بقيت الدعوة الإسلامية في مكة سريّةً ثلاثةً سنوات ، أسلم خلالها صفوه من الصحابة الكرام • وقد اتخذت من دار الأرقام بن أبي الأرقام مقراً لها • ثم نزلت آيات مباركات ، أمرت النبي ﷺ أن يجهر بالدعوة : « فاصدح بما تومر وأعرض عن المشركين ^(١) » ، « وأنذر عشيرتك الأقربين وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ^(٢) » •

فقصد رسول الله ﷺ الصفا ^(٣) ، ونادى : يا معشر قريش ، فقالت قريش : محمد على الصفا يهتف • فأقبلوا واجتمعوا وقالوا : مالك يا محمد ؟ قال ﷺ : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفع هذا الجبل ، أكتم تصدقوني ؟ قالوا : نعم ، أنت عندنا غير متّهم ، وما جربنا عليك كذباً قط • قال ﷺ : فإنني نذير لكم بين يدي • عذاب شديد • يابني عبد المطلب ، يابني عبد مناف ، يابني زهرة – حتى

(١) سورة العجر ، الآية الكريمة : ٩٤ .

(٢) سورة الشوراء ، الآية الكريمة : ٢١٥ .

(٣) مكان مرتفع في أسفل جبل أبي قبيس في مواجهة الكعبة المشرفة من الجهة الشرقية ، وللجهز بالدعوة رابع : الطبراني ، ج : ٢ ، ص : ٢١٨ ، والكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٤٠ ، والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ٣٨ .

عدد الأفخاذ من قريش - إن الله أمرني أن أذر عشيرتي الأقربين ، وإنني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيباً ، إلا أن تقولوا لا إله إلا الله . فقال أبو لهب : تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا !

وهكذا أعلنت الدعوة ، وأخذَ النبي ﷺ يقف في الأسواق داعياً الناس : « أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » . وتتالت الآيات ترکز على عبادة الله وحده ، وترك الأصنام والأوثان . ولكن كفار قريش لم يفكروا في مناقشة ما يسمعون ، بل كذّبوا النبي ﷺ تارة ، ورموه بالجنة أو بالسحر تارة أخرى .

ولما رأت قريش الجد من رسول الله ﷺ في دعوته ، فاوضت عمه أبو طالب في أمره ، وتقديم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ، والأسود بن المطلب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل السهمي ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وغيرهم ، وقالوا : يا أبو طالب ، إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعبّاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، وضلّل آباءنا ، فاما أن تكفه عنا ، وإما أن تخلّي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه . فردّهم أبو طالب ردّاً رقيقاً . يقول جميل . وممضى رسول الله ﷺ في دعوته إلى الله عز وجل . فتضاعف عدد المسلمين . فمشى زعماء قريش ثانية إلى أبي طالب ، وقالوا : يا أبو طالب ، إن لك سِنّاً وشرفاً ومنزلة فينا وإننا قد اشتئناك أن تنحي ابن أخيك فلم تفعل ، وإنما والله لا نصبر على هذا من شتم آلهتنا وآباءنا ، وتسفيه أحلامنا حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ..

وأعلم أبو طالب رسول الله ﷺ ما قالت قريش ، وقال له أبق على نفسك وعلىّ ولا تحملني مالا أطيق . فظن رسول الله ﷺ أن عمه خذله ، وضعف عن نصرته . فقال له^(١) : « يا عماء والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته » . فقال أبو طالب : « اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً » .

(١) الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٤٣ ، والطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٢٦ .

وهكذا وقف عليه بروح معنوية عظيمة أمام قومه كلهم ، متمسكاً بالدعوة
إلى الله سبحانه وإلى النهاية .

وأغضب قريشاً سخرياً رسول الله عليه من أصنامها : كما أغضبها ازدياد
أتباع محمد « يتيم أبي طالب » ، فمشت إلى أبي طالب تحمل معها عماره بن
الوليد لتقول له : يا أبو طالب هذا عماره بن الوليد ، فتى قريش ، وأشعرهم
وأجلهم ، فخذنه فلك عقله ونصرته ، فاتخذنه ولداً ، وأسلم لنا ابن أخيك هذا
الذي سفته أحلامنا ، وخالف دينك ودين آبائك ، وفرسق جماعة قومك نقتله ،
فإنما رجل برجل .

قال أبو طالب : والله لبسن ماتسومني ! أتعطوني ابنكم أغذوه لكم
وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ هذا والله لا يكون أبداً . فقال المطعم بن عدي : لقد
أنصفك قومك ، وما أراك ت يريد أن تقبل منهم شيئاً . فقال أبو طالب : والله
ما أنصفونني ، ولكنك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ ، فاصنع
ما بدا لك ^(١) .

فلما يئست قريش من إجابة طلبها ، اشتدت على من أسلم ، وثبتت كل
قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنوهم عن دينهم ، وقام أبو طالب
في بني هاشم ، فدعاهم إلى منع رسول الله عليه ، فأجابوه إلى ذلك .

أسباب المجزرة إلى الحبسنة

اشتد البلاء على أصحاب رسول الله عليه ، وهو في حماية عمه أبي طالب ،
غير أنه عليه كان لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء .

ومن الذين عذّبوا عذاباً شديداً دل على مبلغ تعصّب وقسوة قريش ،

^(١) الطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٢٦ .

بلال بن رباح العبشي ، فكان إذا حميت الشمس وقت الظهرة يلقيه سيده أمية بن خلف الجمحي في الرمضاء على وجهه وظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتلقي على صدره ، كي يكفر بمحمد ويعبد اللات والعزى ، غير أنّ بلالاً وهو في هذه الحال كان يقول : أحد ، أحد ٠

ومن المستضعفين المعدّين أبو اليقطان عمار بن ياسر مع أبيه وأمه ، ويمر النبي ﷺ بهم يعذبون فيقول : « صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة » ، ومات ياسر في العذاب ، وطعن أبو جهل سمية بحرقة فمات ، لتكون أول شهيد في الإسلام ٠

وعذّب خبّاب بن الأرت ، وصهيب بن سنان الرومي ، وعامر بن فهيرة^(١) ٠

حتى أن عقبة بن أبي معيط آذى النبي ﷺ بفناء الكعبة ، عندما أخذ بمنكب رسول الله فلف^أ ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه فدفعه عن رسول الله ﷺ ، ثم قال : أقتلون رجلاً أَنْ يقول ربِّي الله !!

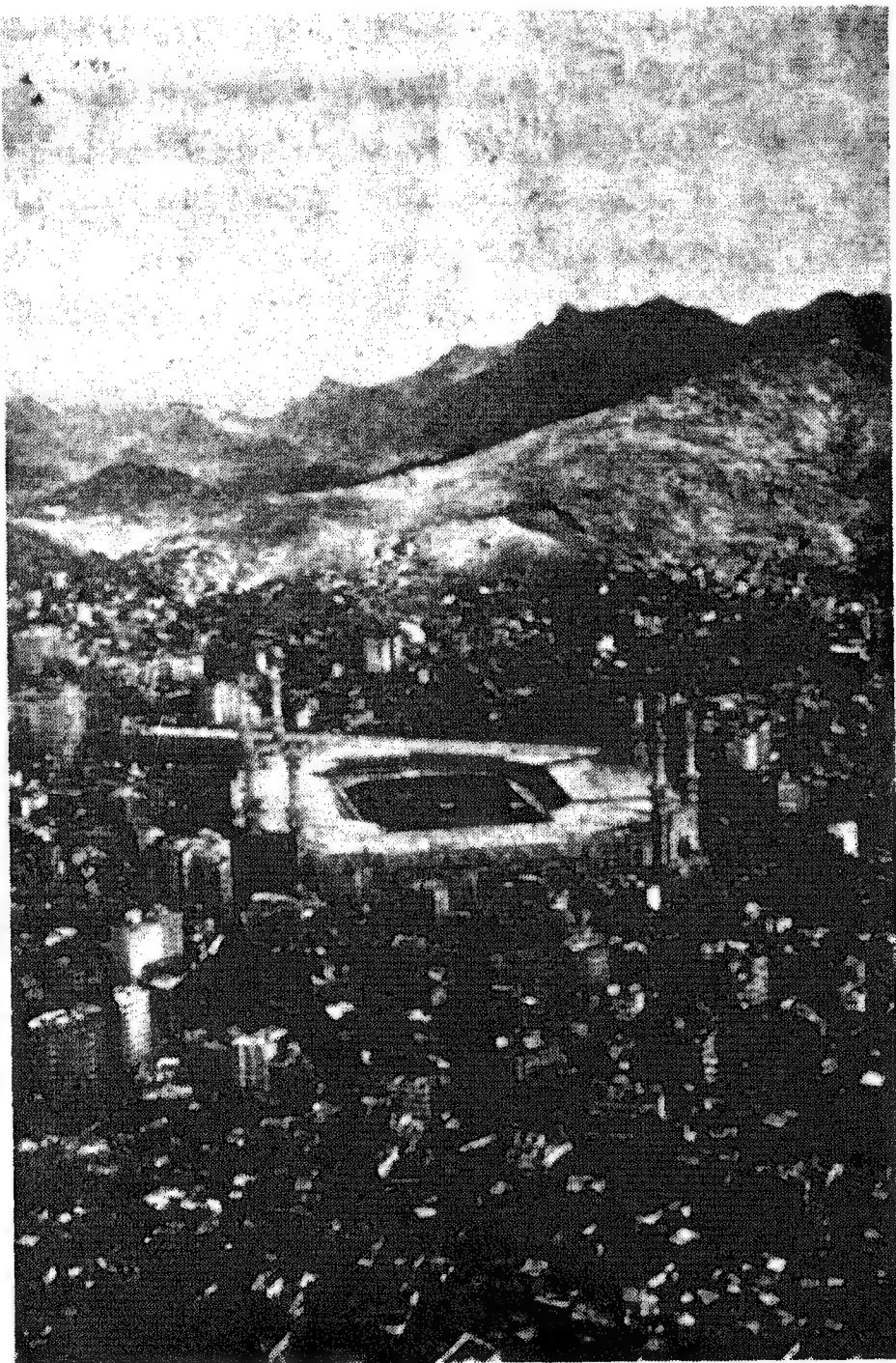
وهكذا اشتد العذاب على المسلمين رجالاً ونساءً ، وصار آذى المشركين الوثنين لا يطاق ، فقال رسول الله ﷺ للMuslimين : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظْلَمُ عنده أحد » ، حتى يجعل الله لكم فرحاً مما أنتم فيه^(٢) ٠

فخرج عند ذلك قسم من الصحابة إلى الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدینهم ، وكانت أول هجرة في الإسلام ٠

(١) راجع « حياة الصحابة » لمحمد يوسف الكاندلوبي باب : « تحمل الشدائـد في الله » ، ص : ٣٨٥ - فعن الذين عذبوا أيضاً : عثمان بن عفان ص : ٤٢٢ ، وطلحة بن عبد الله ص : ٤٢٣/٤٢٢ ، والزبير بن العوام ص : ٤٢٤ ، وأبو ذر الغفارى ص : ٤٣٣ ، ومصعب بن عمير ص : ٤٤٥ ، وعبد الله بن حذافة السهسي ص : ٤٤٦ ثم ذكر عامة الصحابة ص : ٤٤٧ ٠

- وراجع الكامل ، ج : ٢ ، ص : ٤٥ وما يليها ، بحث « ذكر المستضعفين من المسلمين » ٠

(٢) ابن هشام ، ج : ١ ، ص : ٢٨٠ ، والكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٥١ - والطبرى .
ج : ٢ ، ص : ٣٣٠/٣٢٩ ٠



• مكة المكرمة •

هاجروا فراراً من الأذى والاضطهاد ، كي لا يصل الأذى والاضطهاد إلى درجة الموت ، كما حصل لوالد عمار وأمه .. ماتا تحت العذاب .. وهؤلاء ما تنعموا بنعمة الإسلام بالمجان ، فما ولدوا مسلمين ، ولا كانت البيئة من حولهم مسلمة فكانوا مسلمين . لقد فشلت عيونهم في بحر من الوثنية والأصنام . وفي بحر من الجهل والظلم الفكري ، فدفعوا ثمن الإسلام غالياً ، عذاباً متواصلاً ، وخوفاً ورعباً ، وجوعاً وسجناً واضطهاداً ، وسبباً وشتمة ، وطرداً وهجرة .

وكان من هاجر إلى الحبشة : عثمان بن عفان ومعه زوجه رقية بنت رسول الله ﷺ ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه امرأته سهيلة بنت سهيل بن عمرو ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو سلمة بن عبد الأسد ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وعثمان بن مظعون ، وعامر بن ربيعة مع امرأته ليلى بنت أبي حمزة ، وأبو سمرة بن أبي رهم ، وسهيل بن وهب بن ربيعة .

فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة .

ثم خرج جعفر بن أبي طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة^(١) ..

طلب المهاجرين من النجاشي

ولم تكتف قريش بايذاء الصحابة في الحجاز ، بل أرسلت وراءهم وفداً إلى الحبشة ، طلب من ملكها النجاشي تسليمهم كي يفتوههم عن دينهم ، والمقصود من الفتنة ارجاع المسلمين عن دينه ، والموت على الإيمان أسهل بكثير من الفتنة

(١) راجع اسمائهم عند الضرورة في ابن هشام ، ج : ١ ، ص : ٢٨٤ / ٢٨٥ .

والكفر بالله ونبيه^(١) ٠٠

لقد رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا بأرض الجبعة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً ، فقررت أن تبعث رجلين جلدين إلى النجاشي ليридَّ المهاجرين عليها فبعثت قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ، وجمعت لهما هدايا عظيمة للنجاشي ولكتاب حاشيته ٠

تقول أم سلمة بنت أبي أمية : لما نزلنا أرض الجبعة ، جاورنا بها خير جار النجاشي ، أميناً على ديننا ، وعبدنا الله تعالى لا تؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين منهم جلدين ، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من مたاع مكة ، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأداء « الجلود » فجمعوا له أداءً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص ، وأمروهما بأمرهم ، وقالوا لهما : ادفعوا إلى كل طريق هديته قبل أن تكلما النجاشي فيهم ، ثم قدموا إلى النجاشي هداياه ، ثم أسألاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلمهم ، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعاً إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي ، و قالا لكل طريق منهم : إنه قد ضوى « لجاً » إلى بلد الملك منا غلامان سفهاء ، فارقوه دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاؤوا بدين مثبتَّدَع ، لا نعرف نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليридُّهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم ، فإن قومهم أبصر بهم من غيرهم ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فقالوا لهما : نعم ٠

وقدَّم ابن أبي ربيعة وابن العاص هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ، ثم كلَّماه ، فقال له : أيها الملك ٠٠ إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلامان سفهاء فارقوه

(١) ابن هشام ، ج : ١ ، ص : ٢٨٨ . وتاريخ الامم الاسلامية ، الجزء الاول ، صفحة : ٧٥ ، والطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٣٥ . والكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٥٤ . واخبار الهجرة الاولى إلى الجبعة في « السيرة الحلبية » ، ج : ١ ، ص : ٣٥١ . وفي البداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ٦٦ .

دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك وجاؤوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آباءهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم إليهم ، فهم أعلم بهم من غيرهم ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ٠

قالت البطارقة للنجاشي قبل أن يجيب بشيء ، صدقاً أيها الملك ، قومهم أعلى بهم عيناً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهما فليردّاهم إلى بلادهم وقومهم ٠ فغضب النجاشي ، ثم قال : لا والله ، إذن لا أسلمهم إليهما ، ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي ، واختاروني على من سواي ، حتى أدعوه فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فإن كانوا كما يقولان أسلموهم إليهما ، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منتم لهم ، وأحسنت جوارهم ما جاوروني ٠

بين المهاجرين والنجاشي :

دعى النجاشي المهاجرين المسلمين . فتشاوروا قبل حضورهم في الأمر ، واتفقوا أن يقولوا ما علمهم إياه رسول الله ﷺ ، كائناً في ذلك ما هو كائن ، فلما جاؤوا وجدوا النجاشي قد نشر بأيدي أساقوته الصحف من حوله ، فقال : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل (١) ١

فتقدّم جعفر بن أبي طالب فقال : أيها الملك ، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأماته وعفافه ، فدعانا إلى الله لتوحّده ونبعده ، وتخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحaram والذمام . ونهانا

(١) ابن هشام ، ج : ١ ، ص : ٢٩٠ . والتكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٥٥ ، والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ٧٠ .

عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحسنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً • وأمرنا بالصلوة والزكاة والصيام – وعدد على النجاشي أمور الإسلام – ثم قال جعفر : فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا • فعدا علينا قومنا ، فعدبونا ، وفتونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن تستحل من الخبائث • فلما قهروننا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك • واخترناك على من سواك ، ورغبتنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك^(١) •

و قبل أن نذكر موقف النجاشي ، نجد أن كلام جعفر اشتمل على أربع نقاط رئيسية : وصف حال العرب قبل الإسلام ، ثم ذكر ما جاء به الإسلام ، وبعدها نتيجة اتباع المسلمين لرسول الله ﷺ ، وأخيراً ٠٠ قول جعفر رضي الله عنه « واختر ذلك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك » كلام يخاطب قلب وعاطفة النجاشي ، وهذه حنكة ليتخد النجاشي قراره الأخير بحق جماعة استجاروا به ، فلينظر ما يفعل بهم وهم المستجيرون به بعض النظر عن عقيدتهم •

قال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

فأجاب جعفر : نعم .

فقال النجاشي : فاقرأ عليه جعفر أول سورة مريم : « كهيمص ، ذِكْرٌ رَحْمَةٌ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَا ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ، قَالَ رَبِّي وَهُنَّ الْعَظِيمُ مِنِّي وَاشتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْئًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّي شَقِيقًا » .

فكمي النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكمي أسايقته حتى اخضلت لحاهم

(١) ابن هشام، ج: ١، ص: ٢٩٠/٢٩١.

وصحائفهم ، حين سمعوا ماتلا عليهم . ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة . ثم توجة في حديثه إلى عبد الله بن أبي ربيعة ، عمرو بن العاص وقال : انطلقا ، فلا والله لا أسلهم إليكما ولا يكادون^(١) .

فخرجا من عنده ، فقال عمرو بن العاص : والله لآتينه غداً بما أستأصل به خضراءهم ، ولاخبرته أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد عيسى بن مرريم عبد . فقال له عبد الله بن أبي ربيعة : لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالقونا فان لهم رحمة وحظاً ، فقال : والله لأفعلن ! فلما كان الغد دخل عليه فقال : أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى قوله عظيماً ، فارسل إليهم فسلمهم عنه .

فبعث إليهم ، واجتمع القوم ، وقرئ المسلمين المهاجرون أن يقولوا بعيسى بن مرريم ما قال الله ، وما جاء به رسول الله ﷺ كائناً في ذلك ما هو كائن .
فسألهم النجاشي : ماذا تقولون في عيسى بن مرريم ؟

فقال جعفر بن أبي طالب : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مرريم العذراء البتول .

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثم قال : والله ماعدا عيسى بن مرريم مما قلت هذا العويد ، فتاخترت بطارقته حوله حين قال ما قال ، لأن جعفراً لم يذكر أن عيسى ابن الله . فقال النجاشي : وإن نخرتم والله ، اذهبوا - يخاطب المهاجرين - فأنتم شيووم^(٢) بأرضي ، والشيووم : الآمنون ، من سبّكم غرم ، من سبّكم غرم ، من سبّكم غرم ٠٠

ثم أمر برد هدايا قريش ، وقال : لا حاجة لي بها ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ علي ملكي ، فأخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في " فأطيعهم

(١) هذه رواية ابن هشام ، ج : ١ ، ص : ٢٩٠ . أما رواية الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية »، ج : ٣ ، ص : ٧٤ فهي : « إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة التي جاء بها موسى ، انطلقا راشدين ، لا والله لا أردهم عليكم » .

(٢) هي في بعض الروايات « سيوم » ، كالبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ٧٤ .

فيه • فخرج عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص مردوداً عليهمما جاءا به ،
وأقام المسلمون عند النجاشي بخير دار ، مع خير جار •

المهاجرون يفرحون بانتصار النجاشي :

حزن المسلمين المهاجرون حزناً كبيراً ، عندما نازع رجل "النجاشي" في ملکه ، وخفوا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي ، فيأتي رجل لا يعرف من هم ما كان النجاشي يعرف منه ، فسار النجاشي إليه • وخرج المسلمون يستطلعون الخبر ، حتى وصلوا ضفة النيل ، ففصلتهم عن ملتقى القوم ، وسألوا بعضهم : من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟

فقال الزبير بن العوام : أنا — وكان من أحدث القوم سنًا — فنفحوا له قربة يجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم ، ودعا المسلمين الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين له في البلاد ، وعاد الزبير وخرج من ماء النيل وهو يقول : ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي ، وأهلك الله عدوه ، ومكّن له في بلاده • ففرح المسلمون المهاجرون^(١) •

وقال ملا للنجاشي : إنك قد فارقت ديننا • وخرجوا عليه ، فأرسل إلى جعفر وأصحابه ، وهيئاً لهم سفناً ، وقال : اركبوا فيها وكونوا كما أنتم ، فإن هنّ مت فامضوا حتى تلتحقوا بحيث شئتم • وإن ظفرت فاثبتو ، ثم عمداً إلى كتاب ، فكتب فيه : هو يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ويشهد أن عيسى ابن مريم عبده ورسوله وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم ، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن ، وخرج إلى الناس وقد صفتوا له ، فقال : يامعشر الحبشة • ألسنت أحق الناس بكم ؟ قالوا : بل ، قال : فكيف رأيتم سيرتي فيكم ، قالوا :

(١) ابن هشام ، ج : ١ ، ص : ٢٩٢

خير سيرة ، قال : فما لكم ؟ قالوا : فارقت ديننا ، وزعمت ان عيسى عبد ، قال :
فما تقولون أتم في عيسى ؟ قالوا : نقول هو ابن الله ، فقال النجاشي وقد وضع
يده على صدره حيث الكتاب في قبائه ، وأناأشهد هذا ، لم يزد على هذا شيئاً ،
 وإنما يعني ماكتب . فرضوا وانصرفوا . وبلغ ذلك النبي ﷺ ، فلما مات النجاشي
صلى عليه ، واستغفر له .

ازْدِيَادُ حَقْدِ قَرْشَابِ إِسْلَامٍ عَمَّا زَانَ الْخُطَابَ

قدم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص على قريش يحملان خيبة
وفشلاً ، فزاد حقدها^(١) ، وبخاصة بعد أن أسلم عمر بن الخطاب « وكان رجالاً
ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره » فامتنع به أصحاب رسول الله ﷺ ، كما امتنعوا
يأسلام حمزة بن عبد المطلب ، حتى غلبوه قريشاً فصلّووا عند الكعبة .

لقد كان إسلام عمر فتحاً ، وستكون هجرته نصراً ، وإمارته رحمة^(٢) .
أسلم عمر وكثير رسول الله ﷺ تكبيرة عرف المسلمون أن عمر قد أسلم ،
وعرّفوا أنّهم يأسلامه وإسلام حمزة سيمعنون ، وسيتصفون بهما من عدوهم .
وهذا ما كان ..

قال عمر لما أسلم : أي قريش أنقل للحديث ؟
فقيل له : جميل بن معمر الجمحي ، وكان يقال له « ذو القلبين » ، فعده
عليه عمر وقال له :

— أعلمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد^(٣) ؟

(١) عيون الآخر ، ج : ٢ ، ص : ١٢١ ، والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ٧٩ .

(٢) الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٥٧ ، والسير العلية ، ج : ١ ، ص : ٣٥٢-٣٥٩ .

(٣) إسلام عمر رضي الله عنه في « البداية والنهاية » ، ج : ٣ ، ص : ٨٠ .

فقام جميل يجره رداءه واتبعه عمر ، وصرخ جميل في المسجد الحرام : يا معشر قريش — وهم في أندیتهم حول الكعبة — ألا إن عمر بن الخطاب قد حبأ ، فقال له عمر من خلفه : كذب ، ولكنني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى زجر العاص بن وائل السهمي قريشاً .

ثم سار إلى أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ ، سار إلى أبي جهل ، وضرب عليه الباب ، فقال أبو جهل : مرحباً وأهلاً بابن أخي ، ما جاء بك ؟ قال عمر : جئت لأخبرك أنني قد آمنت بالله وبرسوله محمد ، وصدقت بما جاء به ، قال عمر : فضرب الباب في وجهي وقال : قبحك الله ، وقبح ما جئت به .

المَاقَطِعَةُ

فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا فيه أمناً وقراراً ، وأن النجاشي قد منع من لجا إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، وحمرة أسلم ، وجعل الإسلام يفسو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه علىبني المطلب ، على أن لا يتزوجوا إليهم ، ولا يزوجهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفه ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، وعلّقوا الصحيفه في جوف الكعبه ، توكيداً على أنفسهم^(١) .

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شيعته ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزى

(١) ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٣ ، وعيون الآخر ، ج : ٢ ، ص : ١٢٦ ، والتكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٥٩ ، والطبراني ، ج : ٢ ، ص : ٣٤١ ، والسيرة الحلبية ، ج : ١ ، ص : ٣٧٣ ، والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ٨٤ .

ابن عبد المطلب إلى قريش ، فظاهموا على ذلك ستين أو ثلاثة ، حتى
جهدوا ، لا يصل إليهم شيء ، إلا سرا ، مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش .

وأحکم أبو جهل العصار على المسلمين ، ولما رأى حكيم بن حزام بن
خويلد بن أسد ومه غلام يحمل قمحا يريده به عمه خديجة بنت خويلد ، وهي في
شعب أبي طالب ، تعلق به وزجره قائلاً : أتذهب بالطعام إلىبني هاشم ؟ والله
لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة ، فجاءه أبو البختري بن هشام بن
الحارث بن أسد ، فقال لأبي جهل : مالك وله ؟

فقال أبو جهل : يحمل الطعام إلىبني هاشم .

فقال أبو البختري : طعام كان لعمته عنده ، بعثت إليه فيه ، أفترمنعه أن
يأتينا بطعمها ؟ خل سبيل الرجل ، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ،
فأخذ أبو البختري لحي بغير فضريبه به فشجه ، ووطنه وطا شديدا ، وقريش تكره
أن يبلغ ذلك رسول الله عليه السلام وأصحابه فيشمتوا بهم (١) .

العَادِئُونَ مِنْ أَهْرَانِ الْجَبَشَةِ

فشل وفد قريش إلى الجبشة ، فلجمات إلى حيلة جديدة ، ترجع بها المسلمين
المهاجرين ، فأشارت أن أهل مكة أسلموا ، ووصل ذلك الجبشة ، فأقبل
المهاجرون ، حتى إذا دنوا من مكة ، علموا أن إسلام أهل مكة كان باطلًا ، فلم
يدخل منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفيا .. فمنهم من أقام حتى هاجر إلى المدينة
فشهد بدرًا ، ومنهم من حبس حتى فاته بدر وغيره ، ومنهم من مات في مكة .

هاجر المسلمون إلى الجبشة ، هجرة أولى كان فيها اثنا عشر رجلاً وأربع
نسوة ، وهجرة ثانية كان فيها ثلاثة وثمانون رجلاً وثماني عشرة امرأة (٢) .

(١) ابن هشام ، ج: ٢ ، ص: ٤ - ٥ ، والسيرة الحلبية ، ج: ١ ، ص: ٣٧٣ أخبار الصحيفة .

(٢) عيون الأثر ، ج: ١ ، ص: ١١٥ ، والطبرى ، ج: ٢ ، ص: ٣٤١ .

بدؤوا بالعودة الى المدينة بعد الهجرة وكان آخرهم جعفر بن أبي طالب ، الذي
عاد في السنة الثامنة للهجرة عند فتح خير .

نَفْرُ الصَّحِيفَةِ

كان هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث ذا شرف في قومه ، وهو ابن أخي
تضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه ، لذا .. فقد وصلبني هاشم ، وأغان المسلمين
في حصارهم ، فكان يأتي بالبعير وقد أوقر طعاماً ، حتى إذا أقبل به إلى فمِ
الشعب خلع خطامه من رأسه ، ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم^(١) .
ولا شك أنه كان لهذا العمل أهميته ، فقد وصل المسلمون إلى حالة من
الشدة أكلوا بها ورق السمر ، والجلود اليابسة ، وكل ما تصل إليه أيديهم ، أي
شيء كان .

وسار هشام إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة — وكانت أمته عاتكة بنت
عبد المطلب — فقال : يا زهير ، أقد رضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الشياط ،
وتنكح النساء ، وآخواتك حيث قد علمت ، لا يباعون ولا يبتاعون منهم ،
ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ؟ أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم
ابن هشام ثم دعوه إلى مثل ما دعاكم إليه منهم ، ما أجابكم إليه أبداً .

قال زهير : ويحك يا هشام ! فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله
لو كان معي رجل آخر لقتلت في نقضها حتى انقضها ، قال : قد وجدت رجالاً ،
قال زهير : فمن هو ؟ قال هشام : أنا ، فقال زهير : أبغنا رجالاً ثالثاً .
فذهب هشام إلى المطعم بن عدي ، فقال له : يا مطعم ، أقد رضيت أن يهلك

(١) تاريخ الامم الاسلامية ، ج : ١ ، ص : ٧٨ ، وابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ١٧ ، والمسيرة
العلبية ، ج : ١ ، ص : ٣٧٣ ، والتكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٦١ . والبداية والنهاية ،
ج : ٣ ، ص : ٩٥ .

بطنان منبني عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ؟ أما والله
لئن أمكتنوه من هذه لتجذنهم إلينا منكم سرعاً ، قال المطعم : ويحك ياهشام !
فماذا أصنع ؟ إنما أنا رجل واحد ، والله لو كان معي رجل آخر لقتلت في نقضها
قال هشام : قد وجدت ثانية ، قال : من هو ؟ قال : أنا ، قال المطعم : أبغنا
ثالثاً ، قال : قد فعلت ، قال المطعم : من هو ؟ قال هشام : زهير بن أبي أمية ،
قال المطعم : أبغنا رابعاً .

فذهب هشام إلى البخtri بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدي ،
قال : وهل من أحد يعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : من هو ؟ قال : زهير بن
أبي أمية ، والمطعم بن عدي ، وأنا معك ، قال : أبغنا خامساً .

فذهب هشام إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فتكلّم ، وذكر له
قربتهم وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد ؟
قال : نعم ، ثم سمى له القوم .

فاتعدوا خَطْمُ الحجـون^(١) ليلاً بأعلى مكة ، فاجتمعوا هناك ■ وأجمعوا
أمرهم ، وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا
أبدؤكم فاكرون أول من يتكلّم ■ فلما أصبحوا غدووا إلى أندائهم ، وغداً زهير بن
أبي أمية عليه ثلاثة ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ،
أناكل الطعام ، ونبس الشاب ، وبنو هاشم هلكى لا يباع ولا يبتاع منهم ، والله
لا أقدر حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ■

قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد - : كذبت والله لا تشق .

قال زمعة بن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حيث كتبت .

قال أبو البخtri : صدق زمعة ، لا نرضى ما كُتِبَ فيها .

(١) موضع بأعلى مكة ، والخطم المقيدة .

وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك .

فقال أبو جهل : هذا أمر قضي بليل ، تشوّر فيه بغیر هذا المكان .
وأبو طالب جالس في ناحية المسجد ، فقام المطعم إلى الصحينة ليشقها ، فوجد
الأرضة^(١) قد أكلتها ، إلا باسمك اللهم .

ومما يذكر معجزة لرسول الله ﷺ : أنه أعلم عمّه أبا طالب قائلاً : ياعم ،
إن ربِّي الله قد سَلَطَ الأرضة على صحينة قريش ، فلم تدع فيها اسمًا هو الله
إلا اثبته فيها ، ونفت منه الظلم والقطيعة والبهتان . فقال أبو طالب : أربك
أخبرك بهذا ؟ قال ﷺ : نعم ، قال : فوالله ما يدخل عليك أحد . ثم خرج إلى
قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إن ابن أخي أخبرني بكلذَا وكذا ، فعلم صحيفتكم
فإن كان كما قال ابن أخي فاتهوا عن قطيعتنا ، واتزلوا عما فيها ، وإن يكن كاذبًا
دفعت إليكم ابن أخي ، فقال القوم : رضينا ، فتعاقدوا على ذلك ، فقام المطعم
عندها فأحضرها ، ثم نظروا ، فإذا هي كما قال ﷺ ، فزادهم ذلك شرًا ، فعند
ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحينة ما صنعوا .

وكانت قريش تهزاً بصحابة رسول الله ﷺ ، فإن رأوهم حول رسول الله
كumar وأبي فكيه يسار مولى صفوان بن أمية ، وصهيب وأشياهم من المسلمين ،
قال بعض القرشيين لبعضهم : هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهؤلاء مَنْ الله عليهم
من بيته بالهدى والحق ؟ لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا هؤلاء إليه ،
وما خصّهم الله به دوننا .

وکفى الله نبيه أمر المستهزئين به ﷺ : «إِنَّ كَفِيلَكُمُ الْمُسْتَهْزَئِينَ ، الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَيْهَا آخِرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ^(٢)» .

فمنهم من عمي واستسقى بطنه فمات من اتفاخه ، كالأسود بن عبد يغوث ،

(١) الأرضة : حشرة تأكل الخشب .

(٢) سورة الحجر ، الآية الكريمة : ٩٥ و ٩٦ .

ومنهم من قتله شوكة شاكته ، كالعاشر بن وائل ، أو انتقض له جرح قديم فقتله كالوليد بن المغيرة ، فقد كان بأسفل رجله جرح بسيط انتقض به بعد استهزائه بالرسول الكريم ﷺ ، فقتله . ومنهم الحارث بن الطلاطلة الذي امتلا رأسه قيحاً فقتله .

وخرج المسلمون من شِعْب ابن أبي طالب لتبداً مرحلة جديدة من الدعوة ، ألا وهي البحث عن نصير جديد لهذا الدين ، بعد أن أغلقت قريش قلبها دونه ، وأغضبت عنه .

* * *

أَسْئَلَةٌ عَدِيدَةٌ تَطْرُحُ نَفْسَهَا عَامَّا سَبَقَ مِنْ أَحَدَاثِ

- ١ - لماذا هاجر الصحابة إلى الجبعة بالذات ؟
- ٢ - هل خاف النبي ﷺ على أصحابه من خطر الردة إذا بقوا في مكة ؟
- ٣ - أم هناك اقسام حاد في الرأي ضمن الطائفة الإسلامية الناشئة ، ففريق بزعامة أبي بكر الصديق ، وفريق بزعامة عثمان بن مظعون ، فهجر النبي ﷺ عثمان بن مظعون متحيّزاً لأبي بكر وفريقيه ؟
- ٤ - هل ذهبوا للتجارة هناك في الجبعة ؟
- ٥ - أم هل طلب النبي ﷺ مساعدة عسكرية من النجاشي ؟
- ٦ - ولماذا تأخر جعفر بالجبعة حتى السنة الثامنة للهجرة ؟
- ٧ - هل حقاً أن قريشاً وأبا جهل ٠٠٠ ما إن رأوا في محمد بن عبد الله النبوة والصدق في الدعوة ، حتى جاربوه هذه الحرب المرّة القاسية ؟

١٠ - هاجر المسلمون إلى الحبشة ، ولم يكن من الممكن هجرتهم إلى أحدى القبائل العربية ، أو إلى موطن أهل الكتاب ، أو اليمن ، أو الحيرة ، للأسباب التالية :

فالقبائل العربية كانت ترفض دعوة رسول الله ﷺ ، إما مجاملة لقريش ، أو تمشكاً بدينه الوثنى • ومواطن أهل الكتاب من يهود ونصارى ، لم تكن الهجرة ممكناً إليها ، لأن كلاماً من الجاليتين اليهودية والنصرانية كانت تنازع الأخرى وتنافسها بالنفوذ الأدبي ببلاد العرب ، فهما والحالة هذه لا تقبلان منافساً ثالثاً ، لاسيما إذا كان من العرب الذين كانوا يحتقرونهم ويقولون فيهم : « ليس علينا في الذميين سبيل » •

أما اليمن • فقد كانت مستعمرة فارسية ، ولم يكن الفرس يدينون بدين سماوي ، فلم يطمئن رسول الله ﷺ إلى الاتجاه إليهم ، وقد برهنت الأيام على بعد نظره ﷺ ، فقد قرر كسرى طلب النبي ﷺ ، بقصته المعروفة ، فصرف الله عز وجل بلاء كسرى بقتله بيد ابنه •

أما الحيرة • فلها محاذيرها أيضاً • فقريش لها صلات وثيقة معها ، ومصالح متبدلة ، وزيارات في مواسم منتظمة ، بالإضافة إلى نفوذ فارس عليها • فإذا علمت قريش بوجود المسلمين فيها ؛ طلبتم ، كما حاولت مع النجاشي الذي رفض تسليمهم لتسامحه وقوه خلقه^(١) •

لما سبق اختار النبي ﷺ النجاشي بالذات ولم يختر الحبشة الأرض ، بل اختار ملكها : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه »^(٢) •

فاختيار الحبشة ، اختيار ملك لا يظلم عنده أحد •

(١) تاريخ الإسلام ، ج : ١ ، ص : ٨٧ •

(٢) الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٢٥ •

٢ - أما الخوف من خطر الردّة في مكة ، فأمر يرفضه الواقع . فقد رأينا موت ياسر وسمية في التعذيب ولم يرتد ، ولا شك أن هذا ذروة التعذيب والاضطهاد ولكن لا ارتداد !!

كما تحمل بلال الجبلي العذاب الذي لا يطاق ولم يكفر برسول الله ﷺ ، ولم يرجع إلى عبادة اللات والعزّى .

وفي كتب التاريخ وكتب السيرة فصول كاملة تذكر عذاب المستضعفين من المسلمين وأضطهادهم ، وما ارتد منهم أحد . فالصحابية أرادوا – كما قال جعفر بن أبي طالب – : « يا رسول الله ! آئذن لي أن آتي أرضاً أعبد الله فيها ، لا أخاف أحداً^(١) » .

وقد صلب خبيب بن عدي بن مالك الأنصاري وهو يبتسم للموت^(٢) ! ورَدَ عثمان بن مظعون حمامة الوليد بن المغيرة ليُعذَّب كما يُعذَّب أخوانه في الدين^(٣) !

فكيف يرتد من يقبل الموت مبتسمًا ، ويستعدّب التعذيب ؟

٣ - وانقسام الرأي بين أبي بكر الصديق وعثمان بن مظعون رضي الله عنهما ، رأى طرحة المستشرق « غaitani »^(٤) ، وهو رأي منقوص من أرومته لأمور عديدة ..

فليس من المعقول وجود صراع – مهما كان – والنبي ﷺ بين ظهرانيهم ، فلا زعامة ولا طاعة إلا لرسول الله ﷺ .

وكيف تقبل وجود فكرة الزعامة بين المسلمين ، وقد عرض الباحثون صوراً

(١) حياة الصحابة ، ج : ١ ، ص : ٥١٥ .

(٢) أسد الطابة ، ج : ٢ ، ص : ١٢١ .

(٣) الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٥٣ ، والبداية والنتهاية ، ج : ٣ ، ص : ٩٢ .

(٤) راجع دراسات تاريخية باللغة الانكليزية ، للسنة الثالثة ، كلية الآداب – قسم التاريخ ، في جامعة دمشق سنة ١٩٦٣ – ١٩٦٤ ، صفحة : ٢٢-١٢ .

شتى من زهد المسلمين بمناصب الحكم والسلطة ، كما ظهر في سيرة الكثير منهم
أنهم تنازلوا عنها إلى من هم أكفاءً منهم ؟

وليسَ لَمْ يُظْهِرْ أَثْرَ لِهَذَا الْخَلَافَ بَعْدَ وَفَاتَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ؟ كَيْفَ
انْطَفَأْ ؟ كَيْفَ خَبَا أَوَارِهِ ؟ كَيْفَ اتَّهَى خَلَافُهُ هُوَ مِنَ الْقَدْرَةِ أَنْ اضْطُرَّ عَلَى أَثْرِهِ أَحَدٌ
الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْهِجْرَةِ ؟

هذا شيءٌ .. وشيءٌ آخر أَهْمَ يقطعُ عَلَى « غَايَا تَانِي » — وَمَنْ يُنْشِرْ فَكْرَهُ —
تَسَاءَلَهُ .. ذَلِكَ أَنْ أَبَا بَكْرَ نَفْسَهُ خَرَجَ مَهَاجِرًا لَوْلَا أَنْ رَدَهُ أَبُنُ الدَّعْمَنَةِ !!

قالت السيدة عائشة^(١) : « فَلَمَّا ابْتَلَى الْمُسْلِمُونَ ، خَرَجَ أَبُو بَكْرَ مَهَاجِرًا
نَحْوَ أَرْضِ الْجَبَشَةِ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرَكَ الْفِيمَادِ^(٢) ، لَقِيَهُ أَبُنُ الدَّعْمَنَةِ وَهُوَ سِيدُ
الْقَارَةِ^(٣) ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ يَا أَبَا بَكْرَ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرَ : أَخْرُجْنِي قَوْمِي ، فَأَرِيدُ أَنْ
أَسْيَحَ فِي الْأَرْضِ ، وَأَعْبُدَ رَبِّي » . قَالَ أَبُنُ الدَّعْمَنَةِ : فَإِنَّ مُثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرَ لَا يَخْرُجُ
وَلَا يَخْرُجُ ، إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَدْعُومَ^(٤) ، وَتَصْلُ الْرَّحْمَ ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ^(٥) ، وَتَقْرِي
الضَّيْفَ^(٦) ، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(٧) فَأَنَا لِكَ جَارٌ ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِيَلْدَكَ » .
فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَهُ أَبُنُ الدَّعْمَنَةِ ، فَطَافَ أَبُنُ الدَّعْمَنَةِ عَشِيهَةً فِي أَشْرَافِ قَرِيشٍ ، فَقَالَ
لَهُمْ : إِنَّ أَبَا بَكْرَ لَا يَخْرُجُ مُثْلَهُ وَلَا يَخْرُجُ .. وَقَالُوا لِأَبُنَ الدَّعْمَنَةِ : مَرْ .. أَبَا بَكْرَ
فَلِيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ ، فَلِيَصِلْ فِيهَا وَلِيَقْرَأْ مَا شَاءَ ، وَلَا يَؤْذِنَا بِذَلِكَ ، وَلَا يَسْتَعْلِمْ
بِهِ ، فَإِنَّا نَخَشِيُّ أَنْ يَفْتَنَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا .. »

(١) « حَيَاةُ الصَّحَابَةِ » ، ج : ١ ، ص : ٤١٦ - ٤١٧ . وَالْحَدِيثُ بِأَخْرَاجِ الْبَخَارِيِّ مِنْ : ٥٥٢ .

(٢) اسْمُ مَوْضِعٍ بِالْيَمَنِ ، وَقِيلَ وَرَاءَ مَكَةَ بِخَمْسِ لِيَانِ .

(٣) قَبْيَلَةٌ مُشْهُورَةٌ مِنْ بَنِي الْهُوَنِ .

(٤) أَيْ تَعْطِي النَّاسَ مَا لَا يَجِدُونَهُ عَنْدَ غَيْرِكَ .

(٥) الثَّقْلُ وَالْمَيَالُ وَالْيَتَمُ وَنَسْوَهُ ..

(٦) أَيْ تَهُنِّ لِهِ طَعَامَهُ وَنَزْلَهُ لِأَكْرَامِهِ .

(٧) وَهِيَ الْحَادِثَةُ وَالنَّازِلَةُ وَالْمَصِيبَةُ .

فأي خلاف بين أبي بكر وعثمان بن مطعمون ، وقد شرع الأول باللحاق إلى حيث هاجر الثاني^(١) .

٤— فهل ذهبوا للتجارة إذن؟

لا .. فالحبشة لم تكن السوق التجاري لقريش ، وإنما كانت تجارتها إما إلى الشام وإما إلى اليمن ، فلو أرادوا تجارة لذهبوا إما إلى الشام وإما إلى اليمن ..

ولو ذهب المهاجرون من أجل تجارة في الحبشة ، فما الذي يضر قريشاً ؟ لماذا أرسلت رجلين منها لاستدعاء المهاجرين إن لم يكن العداء عداء فكر وعقيدة ؟!؟

٥— أما الدعم العسكري فمرفوض أيضاً ، فلو أراد عليه الله السلام دعماً عسكرياً لأرسل وفداً من اثنين أو ثلاثة ، ثم عادوا بما طلب سلباً أو إيجاباً . ولكن الهجرة شملت أسراء بأطفالها ونسائها ، ومكث الجميع هناك سنوات . فلو طلب الدعم العسكري لتحديد الموقف في الأيام الأولى ، أو الأشهر الأولى بالرفض أو الإيجاب . ولسجل لنا التاريخ في محادثة جعفر بن أبي طالب والنجاشي لمحات من طلب معونة عسكرية ، وهذا ما لم يكن .

٦— أما بقاء جعفر في الحبشة ، فهو سفير دولة الإسلام عند النجاشي ، لاسيما وأن النجاشي أسلم ، وسمح ببقاء جعفر ومن معه لنشر الدعوة .

ومثل بقاء جعفر بقاء العباس في مكة بعد إسلامه^(٢) .

٧— وأخيراً .. عرفت قريش نبوة محمد .. فعقلية سكان الجزيرة العربية وما جاورها من بلاد الفرس والروم كانت مهيأة لقبول ظهورنبي آخر الزمان ، حتى أن هرقل - كمثال - أمر صاحب مدينة إيليا أن يستطلع رأيه في ظهورنبي آخر الزمان .

(١) البداية والنهاية ، ج: ٣ ، ص: ٩٤ .

(٢) للتوسيع في هذه الرسالة رابع « الإسلام في تفصي الاتهام » ، جلسة : قضية الهجرة إلى الحبشة « الجلسة السابعة عشرة » .

فلم اذا اذن رفضت قريش نبوة محمد بن عبد الله ، وقد رأت من معجزاته
الكثير ؟

لقد عرفت قريش نبوة محمد ﷺ ، ولكنهم توقعواها في أمير زعيم ، ولم
يتوقعواها في يتيم أبي طالب .. فحجبت عنهم لأنها لم تكن كما تهوى تقوسمهم ،
وهذا يثبته قول أبي جهل أذن لا شك عنده بنبوة محمد ولكن النبوة في قبيلة
محمد شرف لا نقبله ، لسبق قبيلة محمد قبيلته بهذا الشرف العظيم .

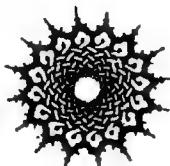
وبعضهم يقرّ بنبوة محمد لكنه يرفض شتم الأصنام والأوثان فقط .

وحتى أبو طالب عرفها ، وخف أذن يقولها واستيقنها روحه .

لذلك أسلم الجميع في فتح مكة حين وقف ﷺ في قريش منادياً : « ماترون
أني فاعل بكم » ؟

قالت قريش كلها : « خيراً ، أخْ » كريم وابن أخْ كريم »

فقال ﷺ : « اذهبوا فأتمتم الطلقاء »^(١)
فأسلموا جميعاً .



(١) هذه أخلاق الانبياء الكريمة ، أما قال يوسف عليه السلام لأخوه بعد أن حصل العق :
« قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين » ، يوسف / ٩٢ .

قِبْلَ الْهِجْرَةِ

﴿ كُلُّمَةٍ وَاحِدَةٍ تَعْطُونِيهَا تَعْلَكُونَ بِهَا
الْعَرَبُ ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعِجْمُ ، تَقُولُونَ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَتَخْلُمُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ
دُوْنِهِ ﴾ .

« محمد رسول الله ﷺ »

الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّائِفِ وَمَوْقِفُ شَيْفِيْفِ مِنْهُ

مَرَّتُ الصَّحِيفَةُ ، وَخَرَجَ بْنُ هَاشَمٍ مِنْ شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ . وَيَشَاءُ اللَّهُ
سَبِحَانَهُ أَنْ تَكُونَ وِفَاتُ خَدِيجَةَ وَأَبُو طَالِبٍ فِي عَامٍ وَاحِدٍ^(۱) .

لَقِدْ كَانَتْ خَدِيجَةُ لَهُ وَزِيرُ صَدْقَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، يَشْكُوُ إِلَيْهَا ، وَيَسْتَمِدُ مِنْ
تَشْجِيعِهَا مَا يَسْكُنُ بِهِ فَوَادِهِ .

وَكَانَ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ عَضْدًا لَهُ وَحْرَزاً فِي أَمْرِهِ ، وَمُنْعِهِ وَنَاصِراً عَلَى قَوْمِهِ .
فَلَمَّا هَلَكَ نَالَتْ قَرِيشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْلُعُ بِهِ فِي حِيَاةِ
أَبِي طَالِبٍ ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيهٌ مِنْ سَفَهَاءِ قَرِيشٍ فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ
بَيْتَهُ وَالْتَّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ الشَّرِيفِ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ ، فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ
الْتَّرَابَ وَهِيَ تَبْكِيُّ « وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهَا : « لَا تَبْكِيْ يَا بَنِيَّةَ ، إِنَّ اللَّهَ

(۱) سِيَاهُ النَّبِيِّ ﷺ « عَامُ الْحُزْنِ » ، وَهُوَ الْعَامُ الْعَاشُرُ مِنَ الْبَعْثَةِ ، قَبْلَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ
بِثَلَاثِ سَنَوَاتٍ .

مانع أباك » . وقال عليه السلام : « ما ثالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(١) » .

ومما يذكر .. أنه لما اشتكي أبو طالب وبلغ قريشاً ثقله ، قالت قريش بعضها البعض : إن حمزة وعمر قد أسلموا ، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها ، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب » . فانطلق عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة ، وأبو جهل ابن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب .. في رجال من أشرافهم فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منا حيث قد علمت ، وقد حضرك ما ترى ، وتخوننا عليك ، وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه فخذ له منا ، وخذ لنا منه ليكتف عنا ، ونكتف عنه ، وليدعنا وديتنا ، وندعه ودينه ، فبعث إليه أبو طالب فجاءه عليه السلام ، فقال أبو طالب : يا ابن أخي ، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليرأذنوا منك ، فقال عليه السلام : « نعم » . كلمة واحدة تعطونها تملكون بها العرب ، وتدین لكم بها العجم » . فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات . قال عليه السلام : « تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه » . فصفقوا بأيديهم . ثم قال : أتريد يا محمد أن يجعل الآلة إلهاً واحداً ، إن أمرك لعجب ! وقال بعضهم البعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون » . فانطلقوا وأمضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا .. ومات أبو طالب فنالت قريش من النبي عليه السلام مالم تكن تناول منه في حياة عمه أبي طالب . فخرج رسول الله عليه السلام إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل^(٢) .

خرج إليهم عليه السلام ومعه زيد بن حارثة^(٣) ، وفي الطائف عمد إلى نهر من ثقيف ،

(١) الوفا باسم المصنفى ، ج : ١ ، ص : ٢١٠ . وعيون الأثر ، ج : ٢ ، ص : ١٢٩ ، والتكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٦٣ ، والطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٤٤ . والسيرة الحلبية ، ج ١ ، ص : ٣٨٤ . والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٣٥ .

(٢) ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٤٧/٤٦ .

(٣) لم يذكر ابن هشام في سيرته أن زيداً كان مع النبي عليه السلام ، بل قال في ج : ٢ ، ص : ٤٨ : « فخرج إليهم وحده » . بينما المراجع الأخرى تذكر أن زيداً كان مع النبي عليه السلام ، كما سترى بعد قليل ، والتكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٦٣ ، يذكر أن زيد بن حارثة كان مع النبي .

هم يومئذ ساداتها وأشرافها ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ،
ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ^(١) ٠٠

فجلس إليهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته ،
والقيام على من خالقه من قومه ، فقال له أحدهم : هو يمرط ^(٢) ثياب الكعبة
إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر : ما وجد الله أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث :
والله لا أكلم أبداً ، لتن كنت رسول الله كما تقول ، لأنك أعظم خطراً من
أن أرد عليك الكلام ، ولكن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك ^(٣) ٠

فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عندهم وقد يئس من خير الطائف ، وقال لهم :
إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموه عني ، وكره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبلغ قومه عنه
فيذرهم ^(٤) ذلك عليه . فلم يفعلوا ، بل أغروا به سفهاءهم وعيدهم يسبونه
ويصيحوون به ، حتى اجتمع عليه الناس ٠٠ وصار زيد بن حارثة يقي بنفسه
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حجارة ثقيف ، وشج رأس زيد شجاعاً ^(٥) ٠

مِنْتَاجُ رَحْلَةِ الْصَّائِفِ

الجأت حجارة ثقيف النبي الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة ،
وكانا فيه ، ورجع سفهاء قريش عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعمد إلى ظل شجرة عنب ، فجلس
تحتها ، وأبنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، فلما

(١) وكانت عند أحدهم إمرأة من قريش من بني جمع ، قال لها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد رده وصده : « ماذا لقيتنا
من أحبابك ! » ٠

(٢) يمرط : ينزع ويرمي به ٠

(٣) ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٤٨ ٠

(٤) فيذرهم : فيتبرهم ٠

(٥) « عيون الآخر » ، ج : ٢ ، ص : ١٣٤ ، وفي « الوفا باحوال المصطفى » ، ج : ١ ، ص : ٢١٢ :
« فاتق بالطائف عشرة أيام ٠٠ لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه . فلم يجيئه وخافوا على أحبابهم ،
قالوا : يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمحابتك من الأرض ، وأغروا به سفهاءهم ، لجعلوا يرجمون
بالحجارة ، حتى ان رجليه لتميمان ، وزيد بن حارثة يقيه بنفسه ، حتى لقد شج في رأسه شجاعاً ٠

اطمأن رسول الله ﷺ اتجه بقلبه وروحه إلى من يلقى هذا في سبيله ومن أجله ،
اتجه إلى الله سبحانه ليقول :

« اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهُوَ أَنِّي عَلَى
النَّاسِ »

يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربِّي ، إلى من تكلني؟^(١)
إلى بعيد يتجمعني^(٢) ، أو إلى عدو ملائكته أمري ، إن لم يكن بك علي غضب
فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا
والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل على سخطك ، لك العتبى حتى
ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك » .

فلما رأه أبا ربيعة « عتبة وشيبة » ، وما لقي من سفهاء قريش ، تحركت
له رحمة^(٣) ، فدعوا غلاماً لهما نصراانياً يقال له عدّاس ، فقال له ، خذ قطعاً
من هذا العنبر فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل
منه ، ففعل عدّاس ، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ، ثم قال
له : كثل . فلما وضعت رسول الله ﷺ فيه يده قال : بسم الله ، ثم أكل . فنظر
عدّاس في وجهه ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال
له ﷺ : ومن أهل أي البلاد أنت يا عدّاس ، وما دينك؟

قال عدّاس : نصرااني ، وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال ﷺ : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى .

فقال له عدّاس : وما يدريك ما يonus بن متى؟

(١) يتجهبني : يلقاني بالغلوظة والوجه الكريه ، « الوفا باحوال المصطفى » ج : ١ ، ص : ٢١٣ ،
والطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٤٥ .
(٢) الرسم : الصلة والقرابة .

فقال عليه السلام : ذاك أخي ، كان نبياً وأنانبيٌ^(١) .

فأكبَّ عدَّاس على رسول الله عليه السلام يقبِّل رأسه ويديه وقدمييه ، فقال ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك ، فلما جاءهما عدَّاس قالا له : ويلك يا عدَّاس ، مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدمييه ؟ قال : ياسيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ، قال له : ويحك يا عدَّاس ، لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه^(٢) .

ولما انصرف النبي عليه السلام من الطائف باتجاه مكة ، مرَّ به بعض أهل مكة ، فقال رسول الله عليه السلام لأحدهم : هل أنت مبلغ عنِي رسالة أرسلتك بها ؟ قال : نعم . قال : أنت الأخنس بن شرقي فقل له يقول لك محمد هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالَةَ ربِّي ؟ فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال الأخنس : إن الحليف لا يغير على الصریح فأتى النبي فأخبره ، فقال عليه السلام : إيت سهيل بن عمرو فقل له إن محمد يقول لك هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالَةَ ربِّي فأتاه فقال له ذلك فقال : إنبني عامر بن لؤي لا تجبر علىبني كعب . فرجع إلى النبي عليه السلام فأخبره ، فقال : أنت المطعم بن عدي ، فقل له : إن محمد يقول لك : هل أنت مجيري حتى أبلغ رسالَةَ ربِّي ؟

قال المطعم بن عدي : نعم فليدخل . فرجع إليه فأخبره . وأصبح المطعم بن عدي وقد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخل المسجد ، فلما رأه أبو جهل قال : أمجير أم تابع ؟ قال : بل مجير ، قال : أجرَّنا من أجرت ، فدخل رسول الله عليه السلام . فاتمَّ إلى الركن فاستلمه وصلَّى ركتين ، وانصرف إلى بيته ، ومطعم وأولاده مطيفون به^(٣) .

وبعد عام الحزن ، عام موت خديجة وأبي طالب ، وتجاه هذه الحالة المؤلمة

(١) ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٤٩/٤٨ . والطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٤٦ . والكامل في التاريخ ج : ٢ ، ص : ٦٤ . والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٣٦ .

(٢) السيرة الحلبية ، ج : ١ ، ص : ٣٨٥ .

(٣) الوفا باحوال المصطفى ، ج : ١ ، ص : ٢١٥ .

من الصدود والاعراض في مكة والطائف ، كانت معجزة الاسراء والمعراج ٠ ولسنا هنا في صدد الاثباتات العلمية لهذه المعجزة ، فنحن المسلمين يكفيانا وجودها في كتاب الله عز وجل لتومن بها ، ولكننا نقول : لكل نبي ورسول معجزاته التي تختلف من أحدهم إلى الآخر ٠ وكلمة معجزة كافية ليفهم المرء أن الله سبحانه الذي خلق نواميس الكون ثابتة ضمن قوانين لا تتغير قادر على تغييرها والخروج عليها ، وإن هذا القول صحيح بالنسبة للانسان ، فقوانين الكون يندرج الإنسان بكل امكاناته تحتها ، أما الله سبحانه ، فهو الذي خلق ، وهو القادر بلا ريب على كل تغيير ، فالذي أسرى برسول الله ﷺ هو الله عز وجل خالق السموات والأرض ، وليس انساناً مثله : « سبحان الذي أسرى بعده ليلًا » من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير^(١) ٠ فالذي أسرى برسول الله ﷺ سميع عليهم ، خالق عظيم ٠ قادر على كل شيء ٠

وأنكر الأوروبيون المسيحيون إيمان النبي ﷺ ، غير أنهم من ناحية أخرى يعترفون بعشرات المعجزات للأنبياء قبله ، وليس ذلك بمستغرب منهم ، إنما الغريب من ناحية ثانية أنهم يؤمّنون بقيام المسيح وصعوده إلى السماء ٠ ففي آخر إنجيل مرقص : « ثم إنَّ الرَّبَّ بَعْدَ مَا كَلَمْهُمْ ، ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ » ٠ وجاء في آخر إنجيل لوقا : « وَفِيمَا هُوَ — أَيُّ الْمَسِيحِ — يَبَارِكُهُمْ ، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأَضْنَدَ إِلَى السَّمَاءِ »^(٢) !!

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ

عاد النبي ﷺ إلى مكة ، وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفارق دينه ، إلا قليلاً من آمن به من المستضعفين ٠ فبدأ ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب

(١) الآيات الأولى من سورة الاسراء ، وهي مكية ٠

(٢) راجع « محمد رسول الله ﷺ » ، محمد رضا ، صفحة : ١١٦/١١٧ ٠

في المواسم ، وفي موسم الحج بخاصة ، ويدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مرسلا ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعواه حتى يبيّن لهم الله ما بعثه به^(١) .

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان ، إني رسول الله إِلَيْكُمْ ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تحلموا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوا بي ، وتمنعوا ، حتى أبين عن الله ما بعثني به .

وكان خلف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ رجل أحول وضيء ، له غديرتان^(٢) ، عليه حلة عدنية ، فإذا فرغ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ من قوله ، وما دعا إِلَيْهِ القبائل العربية ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم إلى ما جاء به من البدعة والضلال ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه . وكان هذا الرجل عم أبو لمب^(٣) .

وكان من دعاهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ كندة فأبوا عليه « وكلبا ، وبني حنيفة ، وبني عامر بن صعصعة » ، وقال فراس بن عبد الله وَهُوَ بْنُ صَعْصَعَةَ : والله لو أني

(١) راجع : عيون الأثر ، ج : ٢ ، ص : ١٥٢ ، والوفا باح韶 المصطفى ج : ١ ، ص : ٢١٥ ، و تاريخ الامم الاسلامية ، ج : ١ ، ص : ٨١ ، والسيرۃ الحلبیة ، ج : ١ ، ص : ٣٣٣ ، والکامل في التاريخ ج : ٢ ، ص : ٦٦ ، والطبری ، ج : ٢ ، ص : ٣٥٣ ، والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٣٨ .

(٢) الفدیرة : الدواب .

(٣) ابن عثام ، ج : ٢ ، ص : ٥٠ ، باسم أبي لمب : عبد العزى بن عبد المطلب . سالت عائشة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ : هل أتي عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ : لقد لقيت من قومك « المراد قريش - ومقبول لقيت محنوق تقديره لقد لقيت منهم مالقيت » ، وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة ، اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجئني الى ما اردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق الا يقرن الشاعر « اي لم افطن لنفسي وانتبه لحالى وللموضع الذي انا ذاهب اليه وفيه إلا وانا عند قرن الشاعر لكثرة مني الذي كنت فيه » ، فرفعت رأسي فإذا بسحابة قد أطلنتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن ألقاك عزوجل قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعثت اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قال : فناداني ملك الجبال وسلم على ، ثم قال : يا محمد ! إن الله قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك اليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ « اي فامرني بما شئت » ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين « جيلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابلها » ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، لا يشرك به شيئا » . راجع صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير / ١١١ .

أخذت هذا الفتى من قريش ، لاكلت به العرب ، ثم قال للنبي ﷺ : أرأيت إن نحن بآيعناك على أمرك ، ثم أظهرك الله على من خالفك ، أيكون لنا الأمر من بعده ؟ قال ﷺ : الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء » فقال فراس : أَفَتَهْدِي (١) نحورنا للعرب دونك ؛ فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا ، لا حاجة لنا بأمرك ، فأبوا عليه .

فراس لم ير في رسول الله ﷺ نبوة ورسالة ، بل رأى زعامة مقبلة أرادها لقومه من بعده ﷺ .

والنبي ﷺ لا مداهنة في موافقه كلها منذ البعثة إلى وفاته ، فمن يسلم ، يسلم الله وحده ، لا لزعامة ولا لرئاسة ، وصدق النبي في الدعوة لا لبس فيه ، فالامر لله وحده ؛ من يسلم يسلم لقناعة بشرع الله ، وبنبوة محمد بن عبد الله لا لدنيا يصيبها فيما بعد .

ولما عاد بنو عامر من مواسمهم ، حدثنا شيخا لهم أدركته السنن حتى صار لا يقدر أن يوافي معهم المواسم ما حدث معهم قائلين : جاءتنا فتى من قريش ، يزعم أنه نبي ، يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ، ونخرج إلى بلادنا التي نعيش عن قوة ونصير يدفع به ظلم الوثنية ومجابتها . فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يا بنى عامر ، هل لها من تلاف ، هل لذنباتها من مطلب (٢) ، والذي نفس (فلان) بيده ما تقولها اسماعيلي (٣) ، وإنها لحق ، فain رأيكم كان عنكم ؟ !

وعرض النبي ﷺ نفسه لكل قادم إلى مكة من العرب ، يتصدي له ويدعوه إلى الله عز وجل ، كسويد بن صامت ، أخيبني عمرو بن عوف ، وكان يسميه قومه : الكامل ، لجلده وشعره وشرفه ونسبه ؛ فتصدى له رسول الله ﷺ ،

(١) أي يجعلها هدفا . والهدف كل شيء مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل ، ومنه سمي الغرض هدفا . « مختار الصحاح ص : ٦٩٢ .

(٢) مثل يضرب لآفات ، وأصله من ذنابي الطائر إذا أفلت من حباله فطلبت الأخذ بذناباه .

(٣) من نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهم السلام .

فدعاه إلى الله وإلى الإسلام ، فقال سويد : فعل الذي معك مثل الذي معي ، فقال عليه السلام : وما الذي معك ؟ قال : صحيفه لقمان الحكيم . فقال له عليه السلام : اعرضها عليّ ، فعرضها عليه . فقال عليه السلام : إن هذا الكلام حسن ، والذي معي أفضل من هذا ، قرآن أنزله الله تعالى عليّ ، وهو هدى ونور ، فتل عليه رسول الله القرآن العظيم ، ودعاه إلى الإسلام ، فقال سويد : إن هذا القول حسن ، ثم انصرف عنه ، فقدم المدينة على قومه ، فلم يلبث أن قتله الخزرج ، ويقول بعض قومه : إنا لنراه قد قتل وهو مسلم .

وسمع رسول الله عليه السلام بقدوم أبي الحيسر أنس بن رافع إلى مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يتلمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم النبي فأتاهم فجلس إليهم^(١) ، فقال لهم : هل لكم في خير مما جئتم له ؟ فقالوا له وماذا ؟ قال عليه السلام : أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أدعوه إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب ، ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن الكريم . فقال إياس بن معاذ – وكان غلاماً حدثاً – : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له ، فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع ، حفنة من تراب البطحاء وضرب بها وجه إياس بن معاذ . وقال : دعنا منك ، فلعمري لقد جئنا لغير هذا ، فصمت إياس ، وقام رسول الله عليه السلام ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج^(٢) .

* * *

ملاحظات حول مأساة

١ - عاد النبي عليه السلام من الطائف إلى مكة المكرمة ، ودخلها تحت حماية

(١) ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٥٤ .

(٢) يوم بعاث : آخر العروب بين الأوس والخزرج ، راجع « أيام العرب في الجاهلية » ، صفحة : ٧٣ .

وجوار مشرك هو المطعم بن عَدِيٍّ ، بينما من تعاليم الإسلام ألا يستعين المسلم بالشركين على الشركين • فكيف نوفق بين الموقفين ؟

دخل النبي ﷺ مُستجيراً بالمطعم بن عدي ، في وقت لم تكن للإسلام فيه دولة تحميء ، فقد كانت الدعوة في مهدها ، فدخل النبي الكريم بحماية مشرك ، وبخاصة فإن قريشاً علمت برحلة الطائف وبموقع ثقيف السليبي المؤلم ، فزاد ذلك من تطاول قريش ، فأبو طالب مات ، وثقيف ردت النبي رداً سيئاً فدخل إلى مكة بحماية مشرك •

ولم ينسَ رسول الله ﷺ هذا الموقف للمطعم بن عدي ، فقال ﷺ بعد معركة بدر الكبرى وأسرى قريش بين يديه : « لو كان المطعم بن عدي حياً فكلمني في هؤلاء النَّسْنَى – يعني أسرى بدر – لأطلقهم له ^(١) » .

فإسلام لا ينسى جميل كافر مشرك ، ولا ينسى له إحسانه •

ومجمل القول .. إن موقف النبي ﷺ في مكة موقف حماية في دور ضعف .. دور المستضعفين والاضطهاد والتعذيب .. فكانت حماية أبي طالب قبل رحلة الطائف وحماية المطعم بن عدي بعدها •

ولكن لما قامت للإسلام دولته بعد الهجرة ، وأصبحت له قوته الذاتية التي تمثلت في قلوب رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، لم يكن ليستعين بالشركين على الشركين ، لأنَّه انتقل إلى دور القوة •

٢ - نسمع كثيراً في أيامنا هذه « بئس العالم على باب الحاكم » .. مع أن الأحداث التي سبقت الهجرة ترفض أن يتخد الإنسان هذا الموقف في وقت أعرض فيه الناس عن الإسلام •

وهذا النبي ﷺ في دور الضعف والاضطهاد يعرض نفسه وهو سيد ولد

(١) الوفا في أحوال المصطفى ، ص : ٢١٥

آدم على زعماء قريش ، وأشراف ثقيف ، ورؤساء القبائل العربية ليكسب منهم مسلماً نصيراً للدعوة ، وهذه رحلة الطائف – التي دامت عشرة أيام ، وفي رواية شهراً كاملاً – ذهاباً وإياباً على الأقدام في رحلة شاقة وفي منطقة وعرة ، ونتيجة لها مسلم واحد فقط « عبد خادم هو عَدَّاس » .

فرحلة الطائف درس في الدعوة عظيم ، ففيها سعي ونصب ، وعرض حسن لطيف للإسلام ، وفيها صبر واحتساب ، وفيها تحمل الأذى والعداب « حتى إن رجليه لتدميان » ، وفيها الصدق والأخلاص لله : « إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيْهِ غَضْبٌ فَلَا أَبَالِي » ، وفيها خشية الله من التقصير في الدعوة على الرغم من الجهد والعمل الدؤوب مع التواضع الدائم لله عز وجل : « أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقْتَ بِهِ الظُّلُماتِ ، وَصَلَحْتَ عَلَيْهِ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تَنْزِلَ بِي غَضْبَكَ ، أَوْ تَحْلِ عَلَيَّ سُخْطَكَ ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى لَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » .

عرض النبي ﷺ نفسه على زعماء القبائل كلهم ۰۰ ولكن لما تمكّن الإسلام ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأصبح إيمان في القلوب ، جاءه الزعماء والأمراء والوجهاء إلى طاعته عند قدميه الشريفين ۰۰

فأعمال النبي ﷺ كلها كلمات تشاهد وتتنظر وتقرأ للاتباع ، لا للتبرّك فحسب ، والإيمان الحق اتباع كامل لأمر الله ، وسنة نبيه ، لتصبح إرادة الداعي تبعاً لإرادة الله ، ورغبته تبعاً لرغائب رسول الله ۰

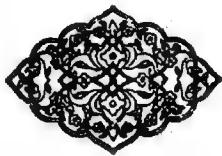
وحركة الداعي إن خالفت سُنّة النبي العظيم ، فلا تدل على حياة صحيحة مطلوبة ، وليس كل حركة تدل على حياة ، فتدحرج صخرة من على يجرفها سيل ، لا تدل حركتها على حياة ، وحركة مروحة كهربائية بآلاف الدورات في الساعة لا تدل على حياة ۰۰ نحن بحاجة إلى حركة داعية فيها حياة محمدية المنهج والسلوك والاقتداء ، خالصة لوجه الله ، فهي عندئذ ستنتهي لا محالة ، وستبدل

الجهل علماً وعرفاناً ، والموت حياة وعزّة ، والفرقـة وحدة ومحبة .. والبعد عن
الله قرباً وعبودية .

وإن وجد الـهادي الذي يتلمس خطـا رسول الله ﷺ في مراحل دعوته ،
في سيرته من أليـفـها إلى يائـها ، وجدت معانـي النـصر ، وبـذـور الفـوز والعـزـة
في الأـمـة .

« العلماء ورثـة الأنـبيـاء » ، ماـذا ورـثـوا مـاـدـام النـبـي ﷺ لم يـورـثـ درـهـماـ
ولـا دـيـنـارـاـ؟! لـقـد ورـثـوا عـمـل النـبـي وـدـعـوـتـه فيـ المـجـتمـع ..

فيـمـكـنـنا أـن نـسـيـ رـحـلـة الطـائـف : « دـرـسـ الدـاعـيـةـ العـلـيـ » أو :
« درـسـ دـاعـيـةـ صـادـقـ » أو : « درـسـ صـدقـ فيـ الدـعـوـةـ » ..



طَلَاجُ الْفَقِيرِ

بَيْعَةُ الْعَقْبَةِ الْأُولَىٰ

بَيْعَةُ النَّسَاءِ

* « بايعنا رسول الله ﷺ على ان
لا تشرك به شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ،
ولا نقتل اولادنا ، ولا ناتي بيهتان ثغريه من
بين ايدينا وارجلنا ، ولا نصبه [معروف] ٠٠٠ »

ولما أراد الله عز وجل إلهام دينه ، واعزاز نبيه ﷺ ، خرج رسول الله في
الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، فعرض نفسه على القبائل ، فالداعي
عليه أن يكون حيث تدعوه الدعوة ، وهذا ما صنعه رسول الله ﷺ في كل موسم ،
في بينما هو عند العقبة^(١) ، لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً ، فقال لهم
ﷺ : من أتم ؟ قالوا : نفس من الخزرج ، قال ﷺ : أمن موالي اليهود ؟
قالوا : نعم ، قال ﷺ : أفلأ تجلسون وأكلمكم ؟ قالوا : بلى ، فجلسوا معه ،
فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

لقد كان الخزرج أهل شرك ، وكان اليهود معهم في بلادهم أهل كتاب
وعلم ، فكان اليهود يقولون لأهل المدينة إذا كان بينهم شيء : إن نبياً مبعوث
الآن ، قد أغلل زمانه ، فتتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم^(٢) .

(١) العقبة التي يويع فيها النبي ﷺ بين منى ومكة ، تبعد عن مكة نحو ميلين ، عندما مسجد
ومنها ترس جمرة العقبة . « معجم البلدان » ج : ٤ ، ص : ١٣٤ .

(٢) صiron الآخر ، ج : ٢ ، ص : ١٥٥ ، وابن حشام ، ج : ٢ ، ص : ٥٤ . والتكامل في التاريخ ،
ج : ٢ ، ص : ٦٧ ، والطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٥٥ .

فَلِمَا كَلَّمَ عَلَيْهِ أُولَئِكَ النَّفَرُ ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : يَا قَوْمَ تَعْلَمُونَ وَاللَّهُ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي تَوَعَّدُكُمْ بِهِ يَهُودٌ ۝ فَلَا تُسْبِقُنَا إِلَيْهِ ، فَأَجَابُوهُ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ ، بِأَنَّ صَدِقَوْا ، وَقَبَلُوا مِنْهُ مَا عَرَضُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَقَالُوا : « إِنَّا قَدْ تَرَكْنَا قَوْمَنَا ، وَلَا قَوْمٌ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالشَّرِّ مَا بَيْنَهُمْ ، فَعُسْتَ أَنْ يَجْمِعُهُمُ اللَّهُ بِكُّكَّ ، فَسَنَقْدِمُ عَلَيْهِمْ ، فَنَدْعُوهُمْ إِلَى أَمْرِكَ ، وَنَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَجْبَنَاكَ إِلَيْهِ مِنْ هَذَا الدِّينِ ، فَإِنْ يَجْمِعُهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَا رَجُلٌ أَعْزَزُ مِنْكَ ۝ »

ثُمَّ انْصَرُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ وَقَدْ آمَنُوا وَصَدَقُوا ۝ ۝ فَلِمَا قَدَمُوا الْمَدِينَةَ إِلَى قَوْمِهِمْ ، ذَكَرُوا لَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى فَشَّا فِيهِمْ ، فَلَمْ يَقُلْ دَارِ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذَكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامِ ۝ ۝ يَقُولُ عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ^(۱) : « كُنْتَ فِيمَنْ حَضَرَ الْعَقْبَةَ الْأُولَى ، وَكُنَّا أَنَّنِي عَشَرَ رَجُلًا^(۲) ، فَبَيْأَنَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى بَيْعَةِ النَّسَاءِ^(۳) ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَفْتَرَسَ الْحَرْبُ عَلَى أَنْ :

- ۱— لَا نَشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا ۝
- ۲— لَا نَسْرِقُ ۝
- ۳— لَا نَزْنِي ۝
- ۴— لَا نَقْتُلُ أَوْلَادَنَا ۝
- ۵— لَا نَأْتِي بِبَهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلَنَا ۝
- ۶— لَا نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ ۝

(۱) عَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ بْنُ قَيْسٍ الْأَنْصَارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ ، أَبُو الْوَلِيدِ ، شَهَدَ الْعَقْبَةَ الْأُولَى وَالثَّانِيَةَ ، وَشَهَدَ بِدْرًا وَاحْدًا وَالْخَنْدَقَ ، وَالْمَشَاهِدَ كُلُّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ تَعَالَى ، كَانَ مِنْ جَمِيعِ الْقَرَآنِ فِي زَمْنِ النَّبِيِّ ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا زَادَ بْنَ جَبَلَ وَأَبْنَيَ الدَّرَدَاءَ لِيَعْلَمُوا الْقَرَآنَ بِالشَّامِ ۝ وَيَقْبَهُمُ فِي الدِّينِ ، فَاقَامَ عَبَادَةً بِحِصْنٍ ۝ تَوَفَّ فِي وَحْيٍ وَهُوَ أَبُو اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً ۝ (أَسْدُ الْفَاقِةِ ، ج: ۵ ، ص: ۱۷۴)

(۲) أَسْبَاطُهُمْ فِي « عَيْوَنِ الْأَثَرِ » ج: ۱، ص: ۱۱۵ ۝

(۳) سَمِيتَ بَيْعَةُ النَّسَاءِ لِوُجُودِ عَفْرَاءَ بْنِ عَبِيدَ بْنِ ثَلْبَةَ بْنِ عَبِيدٍ ، وَهِيَ أَوْلَى امْرَأَةٍ بِإِيمَانٍ ، أَوْ سَمِيتَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي وَرَدَ ذِكْرُهُ فِي سُورَةِ الْمُتَكَبِّرِ خَاصَّةً بِبَيْعَةِ النَّسَاءِ وَهِيَ ، « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتِ يَبْأَسْنُكُنَّ عَلَى أَلَا يَشْرُكُنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرُقْنَ وَلَا يَرْزُقْنَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِنَ بِمَهْتَانٍ يَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلَهُنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَيْأَنُهُنَّ وَاسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ أَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

فإن وفيتكم فلهم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فامركم إلى الله عز وجل
إذ شاء غفر وإن شاء عذاب » .

عاد أصحاب بيعة العقبة الأولى إلى المدينة ، وأرسل رسول الله ﷺ معهم معلماً ينفقهم في الدين ، أرسل معهم مصعب بن عمير^(١) ، وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام . ويفقههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة . وكان منزله على أسعد بن زرارة (أبي أمامة) ، كان يصلي بهم ، فجمع الأوس والخرسج بنفسه دون تحرث بينهما .



نظارات في بيعة العقبة الأولى

١ - نص بيعة موجز رائع ، شمل ما يلي :

١ - توحيد الله مطلق ، وهذا من حظ الروح والقلب : « لا نشرك بالله شيئاً » و :

٢ - « لا نسرق » ، أمانة وأمان ، وحفظ حقوق ولا اغتصاب ، وهذا من حق المجتمع والجماعة .

٣ - « ولا نزني » عفة وصيانة أعراض البعد عن الفاحشة ، وهذا من حق الجسد .

(١) الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٦٧ . والطبراني ، ج : ٢ ، ص : ٣٥٧ ، والسير العلية : ج ١ ، ص : ٣٣٦ . ومصعب بن عمير ، أبو عبد الله ، من السابقين إلى الإسلام ، شهد بدرا مع رسول الله ﷺ ، وشهد أحداً ومحمه لواء رسول الله ﷺ ، وقتل بأحد شهيداً وعمره أربعين سنة ، ويقال فيه نزلت وفي أصحابه من المؤمنين : « رجال صدقوا ما هامدوا الله عليه » ، الاحزاب / ٢٣ . مات مصعب ولم يترك إلا ثوباً كان إذا غطوا راسه خرحت رجلاته ، وإذا غطوا به رجلية خرج رأسه ، فقال ﷺ : « غطوا راسه واجعلوا على رجلية الآخر » ، « حشيش طيب الراحلة » ، وقال رسول الله : « أيها الناس انتم فزورونا عليهم فوالذي نفس بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيمة إلا ردوا عليه السلام » . - راجع « أسد الغابة » ، ج : ٥ ، ص : ١٨١ .

٤ — « ولا نقتل أولادنا » ، وهذا حقُّ الجيل الناشئ ، وحقُّ اللبنة الأولى في المجتمع « الأسرة » •

٥ — « ولا تأتي بهتان تفتيه من بين أيدينا وأرجلنا » وهذا صدق اللسان، وبالتالي صدق المعاملات وهذا الشرط قمع للكذب في المجتمع ، فالبهتان : القول على إنسان ما لم يفعله ، أو ما لم يكن فيه •

٦ — « ولا نعصيه في معروف » ، وهذا حظ القيادة ، الطاعة بمعرف ، والقيادة إذا ربطت الطاعة لها بأمرها بمعرف ، فما ذلك إلا لأنها واثقة بأنها لن تأمر إلا بمعرف •

٧ — « فإن وفيتكم فلهم الجنة » ، وهنا فكرة الجزاء والحساب والثواب •
ثواب الطاعة والوفاء بهذه البنود سيكون الجنة •

٨ — أما الخيانة ، والنكث بما عاهدتم ، فشأنه إلى الله عز وجل ، إن شاء غفر ، وإن شاء عذاب • لم يذكر لهم عليه السلام « جهنم والنار » فهذا ينفرهم ، بل ذكر الجنة للوفاء ، وترك أمر الخيانة لله • •

هذا • • ولما عاهدوا النبي عليه السلام على ترك الشرك والسرقة والزنى وقتل الأولاد ، وترك البهتان • • فهذا يدل على أن هذه الصفات كانت محببة إليهم في مجتمعهم فجاء الإسلام منقذًا مخلصاً •

٩ — أرسل النبي عليه السلام مصعب بن عمير معلماً « وأمره أن يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقّهم في الدين » فالإسلام إذن ليس اتساباً واسماً ، بل تعلّم والتزام فكري بعد دراسة •

وسمى مصعب بن عمير بالمدينة « المقرئ » ، وشتان بين مقرئ ، اليوم ، ومقرئ الأمس الذي رباه رسول الله عليه السلام ، مقرئ ، اليوم : نعم وصوت جميل وغناء • • لذلك لا تتجاوز قراءته الأذن ، ومقرئ الأمس : تعليم ونور وإيمان وصفاء • •

٣٠ - النبي الكريم أسلم على يده بعض الناس ، والباقي على يد الصحابة •
على يد أبي بكر وعثمان والزبير بن العوام .. فكلمة مسلم تعني داعية إلى الله •
ومصعب بن عمير مثال الداعية أيضاً ..

خرج أسد بن زراره بمصعب بن عمير في المدينة يريد به داربني عبد الأشهل وداربني ظفر .. وقال سعد بن معاذ لأبيه : لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسنها ضعفاءنا ، فازجرهما وأنهما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسد بن زراره مني حيث قد علمت كفيك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدماً ، فأخذ أسيد بن خضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رأاه أسد بن زراره ، قال لمصعب بن عمير : هذا سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلمه .

فوقف أسيد عليهما متشتتاً ، وقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟
اعتزلانا إن كانت لكم بأنفسكم حاجة ، فقال له مصعب ؟ أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ماتكره ؟ قال أسيد : أنصفت ، ثم رکز حربته وجلس إليهما ، فكلمه مصعب بالاسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقا لا فيما يذكر عنهما : والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتسهله . ثم قال أسيد : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قال له : تغسل فتطهر وتظهر ثوبيك ، ثم تصلي ، فقام فاغسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورأي رجلان إن اتبعكمما لم يتخلص عنه أحد من قومه وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقلباً ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهم ، فقا لا : تفعل ما أحببت ، وقد حدثت أنبني حارثة قد خرجوا إلى أسد بن زراره ليقتلوا ، وذلك أنهم

قد عرّفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك « لينقضوا عهدهك » ، فقام سعد مغضباً مبادراً ، تخوفاً للذى ذكر له من بنى حارثة ، فأخذ الحرابة من يديه ، ثم قال : والله ما أراك أغنىت شيئاً ، ثم خرج إليةما ، فلما رأهما سعد مطمئن ، عرف سعد أن أسيدا إنما أراد منه أن يسمع منها ، فوقف عليهما متشتتاً ، ثم قال لأسعد بن زراره : يا أبا أمامة ، أما والله لو لا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني ، أتفشانا في دارينا بما تكره ، فقال له مصعب وقد أخبره أسعد بن زراره : أي مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتكلّف عنك منهم اثنان ، قال مصعب لسعد : أوتقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ثم رکز الحرابة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ، لإشرافه وتسهيله ، ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أتمتم أسلتم ودخلتم في هذا الدين ، قالا : تغتسل فتظهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين ، فقام فاغتسل وظهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير .

فلما رأه قومه مقبلًا ، قالوا : نخلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغیر الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يابني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمتنا نقية ، قال : فإذا كلام رجالكم ونسائهم عليٰ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فوالله ما أمسى في دار بنى عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة . ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زراره فأقام عنده يدعوا الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الانصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بنى أمية بن زيد ، وخطة وسائل وواقف ، وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ، وكان شاعراً لهم وقادئاً يستمعون منه ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام . وهكذا .. حقق مصعب بن عمير الهدف الذي أرسله من أجله رسول الله ﷺ ، دعوة إلى الله بحكمة ودأب .. فهيئاً إلى ييعة العقبة الثانية .

البيعة الكبرى

بيعة العقبة الثانية بيعة الحبيب

★ « أخطر بيعة في تاريخ النعوة
الإسلامية » . لقد فاجأت قريش بدمام المبادرة
يفرء من يدها ، بعد أن بايع الانصار
النبي ﷺ : « أنا منكم وانتم مني » . احرب
من حاربتم ، واسالم من سالمتم » .

رجع مصعب بن عمير إلى مكة ، وخرج المسلمين معه إلى الموسم ، مع
حجاج قومهم من أهل الشرك ، فواعدوا رسول الله ﷺ العقبة ، من أواسط
أيام التشريق ، وأذن الله سبحانه بالنصر لنبيه ، واعزاز الإسلام وأهله ، وإذلال
الشرك وأهله .

فلما فرغ الحج ، قدموا إلى رسول الله ﷺ ، ومعهم أبو جابر عبد الله بن
عمرو بن حرام ، وهو سيد شريف في قومه ، فأخذته المسلمون معهم . وكانوا
يكتمون أمرهم ، فكلموه وقالوا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ،
وشريف من أشرافنا . وإنما نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً . ثم
دعوه إلى الإسلام وأخبروه بميعاد رسول الله ﷺ في العقبة ، فأسلم وشهد العقبة

وكان نقيباً^(١) .

ولما مضى ثلث الليل خرج أهل المدينة من رحالهم لمياد رسول الله ﷺ ، تسأّلوا تسلل القطا مستخفين ، حتى اجتمعوا في الشسب عند العقبة ، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وأمرأتان هما : نسيبة بنت كعب (أم عمارة) ، وأسماء بنت عمرو بن عدي (أم منيع) .

وصل رسول الله ﷺ ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثق له .

ووصى النبي ﷺ أبا بكر أن يقف على فم الشعب من ناحية ، وأوصى علي بن أبي طالب أن يقف على فم الشعب من الناحية الأخرى .

تكلم العباس فقال : يا معاشر الخزرج^(٢) ، إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، من هو على مثل رأينا فيه (أي على الشرك) ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافقون له بما دعوتموه إليه ومانعوه من خالفه ، فأتموا ما تحملتم من ذلك : وإن كنتم ترون أنكم مسلسوه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلدك ، فقال الأنصار : قد سمعنا ما قلت ، فتكلّم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

فتكلم رسول الله ﷺ ، وتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغّب في الإسلام ، ثم قال : أبا يعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فأخذ

(١) عيون الأثر ، ج : ٢ ، ص : ١٦٧ . وابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٦١ . وال الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٦٩ ، والطبراني ، ج : ٢ ، ص : ٣٦١ ، والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٥٨ .

(٢) العرب يسمون الانصار كلهم الخزرج ، خزرجها واوسها .

﴿ ملاحظة : نستعمل كلمة « انصار » للدلالة على المسلمين في المدينة قبل الهجرة ، وكلمة « مهاجرين » للMuslimين في مكة قبل أن يهاجروا ، وكلمة « المدينة » ليشرب قبل وصول النبي ﷺ إليها ، وكلمة « مسجد » في مكة قبل الفتح .. وذلك من قبيل « مجاز الأول » ، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في سورة يوسف ، الآية ٣٦ : « ودخل معه السجن فتیان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا » ، أي يضر عنبا سيفول إلى خمر .

البراء بن معروف يده عليه السلام وقال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزْرَنا^(١) . فبایعنا يارسول الله فنحن أبناء الحروب ، وأهل الحلقة^(٢) ، ورثناها كابرًا عن كابر •

فاعتراض القول والبراء يكلم رسول الله عليه السلام أبو العيمش بن التيهان ، فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرحال حبالاً ، وإنما قاطعواها — يعني اليهود — فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ١٤١ فتبسم رسول الله عليه السلام ، فهو الوفاء ، وهو معلم الوفاء ، وهذا ما كان بعد فتح مكة ، عاد إلى المدينة ليتم حياته ودعوته فيها . تبسم عليه السلام ثم قال : بل الدم الدم ، والدم الدم^(٣) ، أنا منكم وأنت مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم •

فقال العباس بن عبادة : يا معاشر الخزرج ، هل تدرؤن علام تبایعون هذا الرجل ؟ إنه ينبه لخطر المهمة المقلبة وعظيم أمرها ، قالوا : نعم . قال : إنكم تبایعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلاً أسلتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافقون له بما وعدتموه إليه على نهضة الأموال^(٤) ، وقتل الأشراف ، فخذلوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فيما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفيينا ؟ قال عليه السلام : الجنة ، قالوا : ابسط يدك . فبسط يده فبایعوه^(٥) .

(١) العرب تكتفي عن المرأة بالازار ، وتكتفي أيضًا بالازار عن النفس ، وتجعل الثوب عبارة عن لابسه ، أي تمنع أزرنَا يحصل الوجهين معاً .

(٢) الحلقة : الدروع .

(٣) يعني العرمة ، أي ذمتى ذمتك ، وحرمتى حرمتكم .

(٤) نهضة الأموال : تقصها .

(٥) رابع : الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٦٩ وما بعدها ، والطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٦٢ ، والسيرة الحلبية ، ج : ١ ، ص : ٣٤٢ . وابن حشام ، ج : ٢ ، ص : ٦٦ ، والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٦٢ .

قال العباس بن عبادة هذا ليشد العقد لرسول الله ﷺ في أعناقهم ويزيد
تمسّكهم بالتزامهم ، ويحمسهم على وفائهم بعهدهم الذي قطعوا على أنفسهم ،
وهذا يؤيده موقف قريب قادم لا بن عبادة •

وكان من أول من بايع وضرب على يد رسول الله ﷺ أسعد بن زرارة
وأبو الهيثم بن التبيان والبراء بن معروف .. ثم تتابع الناس . ونظم النبي الكريم
الجماعة الإسلامية الأولى ، وخلع عنها الفوضى ، فقال : أخرجوا إلى منكم
اثني عشر تقىياً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثنى عشر تقىياً ،
تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس^(١) . وقال ﷺ للنبياء : أتمن على قومكم
بما فيهم كفلاء ، كفالة الحواريين لعيسي بن مريم ، وأنا كفيل على قومى – يعني
المسلمين – قالوا : نعم •

ثم أمرهم ﷺ أن يلتحقوا برحالهم ، فقال العباس بن عبادة : والله الذي
بعثك بالحق ، إن شئت لنميلن على أهل مني غداً بأسيافنا ، فقال ﷺ : لم تؤمر
 بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . فعادوا إلى مضاجعهم ، وناموا حتى الصبح .
 واستشمت قريش الخبر ، فغدت على رحال الأوس والخزرج ، فقال بعض
القرشيين : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا
 تستخرجوه من بين أظهرنا ، وتباهيونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من العرب
 أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينكم . فقام مشركون من الأوس
 والخزرج يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ، وما علمناه . وهذه حقيقة لأن
 المسلمين من الأوس والخزرج تسللوا في ذهابهم وايابهم دون أن يشعر بهم معظم
 قومهم^(٢) .

(١) تسعة من الخزرج : سعد بن عبادة ، أسعد بن زرارة ، سعد بن الربيع ، المنذر بن عمرو ،
 عبد الله بن رواحة ، البراء بن معروف ، عبد الله بن عمرو بن حرام ، عبادة بن الصامت ، رافع بن مالك
 ابن العجلان .

وثلاثة من الأوس : أسيد بن حضير ، سعد بن خيشمة ، أبو الهيثم بن التبيان ، أو بدلا عنه (رفاعة
 بن عبد المنذر) .

(٢) ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٦٨ . والسيرة الحلبية ، ج : ١ ، ص : ٣٢٢ .

وأدت قريش^{*} الحارث بن هشام بن المغيرة وعبد الله بن أبي^{**} بن سلول، فقالوا : ما الخبر ، فقال : ابن سلول إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومي ليتقوتوا على^{***} بمثل هذا ، وما علمته كان ، فانصرفوا .

ولما نفر الناس من مني دققوا في البحث فوجدوه قد كان ، وخرجت قريش في طلب الأوس والخزرج ، فأدركوا سعد بن عبادة ، فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله^(١) ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجدبونه من شعره . يقول سعد بن عبادة : فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع علي نفر من قريش ، فيهم رجل وضيء أبيض شعشاً ، حلو من الرجال ، فقلت في نفسي إن يَكَ عند أحد من القوم خير ، فعند هذا ، فلما دنا مني دفع يده فلَكْمَنِي لِكَمَة شديدة ، وكان هذا سهيل بن عمرو . فقلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير ، فوالله إني لفي أيديهم يسحبوني إذ رحم لي رجل من كان معنهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ؟ قال سعد : بل والله ، لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوقل بن عبد مناف تجارة ، وأمنعهم من أراد ظلمهم بيلادي ، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما ، فعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما في المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآذ يُضْرِبُ بالأبطح ويُهْتَفُ بكما ، ويذكر أن بينه وبينكم جواراً ، قالا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة ، قالا : صدق والله ، إن كان ليجير لنا تجارنا وينعهم أن يُظْلِمُوا بيلاده ، فخلصا سعداً من أيديهم ، فانطلق .

قال ابن سعد في الطبقات : وافتقرت الأنصار حين فقدوا سعد بن عبادة أن يَكْرَهُوا إيه ، فإذا سعد قد طلع عليهم ، فدخل القوم جميعاً إلى المدينة .

(١) الشراك الذي يشد به الرجل ، وفي لسان العرب ، ج : ٨ ، ص : ٣٥٢ : النسخ : سير يسفر على هيئة أعناء النمال ، تشد بها الرجال ، والجمع انساع ونسوع ونسع ...

فلما قدم الأوس والخزرج إلى المدينة أظهروا الإسلام بها ، وأصبح الجو
مهيأً لهجرة الصحابة ولهجرة رسول الله ﷺ .

* * *

نَظَرَاتٌ فِي بَعْدِهِ الْعَقَبَةُ الثَّانِيَةُ

١٠ - ادركت قريش خطر بيعة العقبة الثانية ، فهي الفيصل بين عهدين من
عهود الدعوة الإسلامية ، عهد مكة حيث السيطرة الوثنية القرشية ، عهد ابتلاء
واختبار وأذى المسلمين ، وبين عهد الدعوة في المدينة ، عهد القوة ، ورفع الظلم ،
وانتشار الدعوة .

وقريش خير من يعلم ما عليه الأوس والخزرج من قوة وبأس ، فقدَّرت
خطورة هذا العهد الجديد ، وبخاصة فإن تجاراتها إلى الشام ستكون مهددة في
ذهابها وإيابها ، ولا سيما أن المسلمين المكيين سيهاجرون جميعاً إلى المدينة ،
فيزداد الإسلام في المدينة قوة إلى قوة الأوس والخزرج .

لقد كانت بيعة العقبة الثانية أخطر بيعة في تاريخ الإسلام ، فقد تطوّرت
الأحداث بعدها تطوارياً سريعاً وخطيراً لصالح الفتنة المؤمنة المسلمة التي صبرت ،
وأفلتت الأمر من قريش ، فلقد افتحت أمام المسلمين أبواب "جديدة لانتشار
الدعوة بعد طول احتباسها في مكة ، فتقرب الفرج ، وكبر الأمل ، وفرّ اليأس" ،
وستنتهي بذلك ثلاثة عشرة سنة من التعذيب والاضطهاد ، وأيقن المستضعفون
المعذبون بعد طول أذى وعظيم عذاب أن النصر قريب ، فتسابقوا إلى الهجرة^(١) .
وفوجئت قريش بذمام المبادرة يفر من يدها ، لتبدأ الدعوة التي احتبسها
في شعاب مكة تجد طريقها إلى قلوب العرب ، بعد أن أصبح الموقف من جميع

(١) صورة من حياة الرسول ، صفحة : ١٢٨ بتصرف .

جوابه بيد المسلمين . وتابع ذلك أن مهابة قريش وزعامتها بدأ تتشاهي ، فتصدت بيعة العقبة الثانية القرشيين ، وزلزلت الأرض من تحت أقدامهم . وطاشت أحالمهم ، حتى لاحقت الأنصار كما مر معنا ، وألقت القبض على سعد ابن عبادة ، لقد طلبت قريش الأنصار في كل طريق ، وفي كل وجه ، تزيد نزع البيعة من أنفاسهم ، ولكن هيمات هيمات .

٢ - في حديث رسول الله ﷺ روعة في تسلسل العرض ، فهو عليه السلام لم يشترط في بيعة العقبة الثانية شيئاً في بداية حديثه ، بل تدرج تدرجًا رائعاً .

دعا إلى الله أولاً : وفي حديث رسول الله ﷺ عذوبة عندما يتكلم عن حبيبه رب العالمين . فمع نطقه نور إلهي يخراق حجب القلوب ، نور يملأ أرجاء النفس والروح ، يعرّفها الله عز وجل أولاً ، فتصبح مهيأة إلى سماع مبادئ الإسلام ثانياً ، وبعد معرفة الله قليلاً ، وأحكام ومبادئ الإسلام عقلاً ، أتى حديث رسول الله ﷺ لحماية الداعي ، الذي يبث الإيمان في القلوب والآفاق ، فقبلوا أن يمنعوا مما يمنعون نساءهم وأبناءهم كمرحلة ثالثة في حديثه المبارك الشريف .

ولما اطمأن ﷺ لقبول المرحلة الثالثة ، جاء قوله العلني الصريح : الدم الدم والهدم الهدم ، فعلمت الأوس والخرج أبعاد ما أقدموا إليه ، فقالوا عندها : « فنحن والله أبناء الحرب ، وأهل الحلقة - أهل الدروع - ورثناها كابرًا عن كابر » .

ما أروع حكمتك يا سيد يا رسول الله ، ﷺ ، وجزاك الله عز وجل خير ما جزي نبياً عن قومه ، آملين وتحن المؤمنين بك واطمأنت افتدينا إلى هديك ونهجك أن تكون تحت لوائك يوم القيمة ، وهذا هو الشرف الأعظم ، وهذه هي التجارة التي لن تبور .

ما أروعك يا سيد يا رسول الله .. وما أبدع أسلوبك .. فالكلمة الطيبة

الحكيمة الجميلة تقرب القلوب و تستعبدُها ، والكلمة العشواء الفظاعة تخرّب
القلوب و تفسد أمة ٠

و من هنا تنطلق إلى سؤال ضمن هذه الملاحظات :

— لِمَ كانت هذه الاستجابة الرائعة من الأنصار ؟

— لِمَ لاقت الدعوة قبولاً كبيراً في المدينة ، و انتشرت انتشار النار
في الهشيم ، فأسلم في المدينة خلال عامين تقريباً أكثر من أسلم في مكة خلال
ثلاث عشرة سنة ٩١٤

١ — إن الاختلاف الواضح في البيئة والمناخ بين مكة والمدينة ترك أثراً
كبيراً واضحاً أيضاً على طبائع السكان في كلتا المدينتين ، فعُرِفَ أهل مكة
بالشدة والصلابة في طباعهم ، وبالقسوة والجفاف في معاملاتهم ١ في حين عُرِفَ
أهل المدينة بلين الجانب ، و دماثة الخلق ، و حسن المعاملة ٢ ٠

٢ — كما كانت عقلية الأوس والخزرج في المدينة مهيأة لظهور نبي آخر
الزمان ، فلما رأوا رسول الله و سمعوا تعاليم الإسلام ، أدركوا مبلغ الشبه بينه
و بين ما توعدهم به اليهود ، فبادروا إلى تصديقه ، حتى لا يسبقهم هؤلاء اليهود
إلى اتباعه ، فيقتلوهم قتل عاد وإرم ، لهذا لا نعجب إذا رأينا أهل يثرب أكثر
تحمساً للإسلام ٠

٣ — ولعل حالة المجتمع في المدينة كانت تدعو إلى اتهام مثل هذه الفرصة ،
إذ وجد أهلها في هذا الدين ما يوحده كلامهم ، ويجمع شملهم ، ويقضي على ما ينافيهم
من تنازع وبغض ، كما وجدوا في شخصية الرسول ﷺ بغيتهم المنشودة ، إذ
عرفوه رجلاً من أكرم بيوتات قريش و ساداتها . ثم هو ابن آمنة من بنى التجار ،
أحد بطون الخزرج ، ومع ذلك فهو نبي يستطيعون أن يطأولوا اليهود بما ينزل

١) صور من حياة الرسول ، ص ٢١٩

عليه من وحي ، فهو الذي يستطيع أن يجمع الأوس والخزرج تحت لوائه ، وكانوا أحوج إلى ذلك بعد يوم بثاث الذي كان النصر فيه للأوس ، ولعل انهزام الخزرج يوم بعث قد جعلهم أكثر استعداداً لقبول الدين الإسلامي ، حتى كانوا أسبق إليه من بنى عمهم الأوس^(١) .

كما أدرك الطرفان - الأوس والخزرج - أن اليهود ينazuونهم سيادتهم في المدينة ، وعلى مر الأيام تشتت شوكتهم ، ولجأوا إلى العحيلة للتفرقة والحقيقة بينهما ، وما زالوا يشيرون بينهم أسباب العداوة ، حتى تم لهم ما أرادوا من ذلك ، وحل الخصم محل الوئام ، وحلّت البغضاء محل المودة ، فقامت بينهما حروب طاحنة . وشعر الأوس والخزرج بعد يوم بثاث بسوء ما يصنع بعضهم البعض ، وأدرکوا أن الغالب والمغلوب منهما كلّيهما خاسر في هذه الخصومة ، وأن الكاسب فيما هم اليهود فقط ، وفكّر العقلاء بتنصيب رجل من الخزرج ينضوون تحت لوائه جميعاً ، ولكن الله عز وجل أراد بهم خيراً مما أرادوا بأنفسهم . فاختارهم واجتباهم وجعلهم أنصاراً لرسول الله ﷺ .

٣- يندب كثيرون من أنصار المتفقين حظ المرأة في الإسلام ، ويتهمنه أنه عَطَّلَها وكبت طاقاتها ، وعزلها عن المجتمع وما يحيط بها من أحداث . وما شابه من هذه التشرّفات .

والملائج النصف يلمس دور المرأة الرائع في الإسلام منذ اللحظة الأولى للبعثة .

أما كانت خديجة بنت خويلد وزیر صدق لرسول الله ﷺ ، يشکو إليها ويستشيرها ويطمئن لرأيها

وفي هجرة الحبشة الأولى والثانية أما كان نسوة يشاركن الرجال المهاجرين جهادهم ، ومنهن أسماء بنت عميس بن النعمان ، وفاطمة بنت صفوان بن أمية ،

(١) تاريخ الإسلام ، ج : ١ ، ص : ٩٣ / ٩٤ .

وأمينة بنت خلف ، وحبيبة بنت أبي سفيان ، وبركة بنت يسار ، وأم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة ، وربطة بنت الحارث ٤٠٠

وفي بيعة العقبة الأولى ، أو في بيعة « النساء » كما تسمى ، أما كانت عفراء بنت عبيد بن ثعلبة أول امرأة تبَايِع رسول الله ﷺ

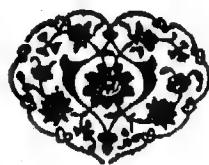
وفي بيعة العقبة الثانية ، أو بيعة الحرب ، امرأتان بايعتا رسول الله ﷺ على العرب والقتال لاعلاء كلمة الله عز وجل ، وهما : أم عمارة . نسيبة بنت كعب ، وأم منيع ، أسماء بنت عمرو ٠٠

وسنرى مشاركة المرأة في الهجرة ٠٠ كما رأينا مشاركتها في بدء الدعوة فقد كانت المرأة أول شهيد في الإسلام إلا وهي سمية رضي الله عنها ٠

ولن نقارن هنا حال المرأة قبل الإسلام وما حقق الإسلام لها ، فهذا قمنا به في كتابنا « الإسلام في قفص الاتهام » ، ولكننا نقول :

إن للمرأة صفحات مجيدة في تاريخ الإسلام ، ومنذ أيامه الأولى ، بل منذ ساعاته الأولى ٠٠ لقد أخذت المرأة دورها الطبيعي ومكانتها الائقة بكل عفة وطهارة وإيمان ٠ فمن يندب حظها ٠ ويطلب بحقوقها ، إما جاهل وأما حاقد ٠

ونحن نرى أن لا حقوق لها ، ولا حقوق للرجل ، بل حقوق أسرة ترفرف عليها أجنحة السعادة والهناء ، أسرة يسكن فيها الرجل إلى المرأة ، وتسكن فيها المرأة إلى الرجل يحيىًّا عليهما الخير والتفاهم والسعادة ، لتحقق هذه الأسرة بجناحين متوازيين ، يشكل الرجل أحدهما ، وتشكل المرأة الجناح الآخر ، والاثنان يسعian معًا لبناء أطفالهما ، أبطال الغد الخيريين ٠



نَزَولُ الْأَمْرِ بِالْفِتَالِ

★ « اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا
وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين اخترجوا
من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا
الله » .

« قرآن كريم »

بدأ إسلام النبي ﷺ من غار حراء ، فصار مع الله وبالله والله ..
مكث في الغار لتهيئة قلبه وروحه ، اعتكف في الغار بين صخور وحجارة
لينقطع عن الخلق ، ويتجه إلى الخالق .

وبقاء المسلمين في مكة ثلاث عشرة سنة لم يكن ضياعاً ، بل كان فترة
تربيّة إيمانية روحية للمسلمين ، وكان غار حراء الصحابة خلالها وبعدها قلب
رسول الله ﷺ .

لقد كانت مكة مرحلة تهيئة قلبية ، واستعداد روحي للتمسك بأهداف
العقيدة تسلّكاً مثالياً . ومن بعد الغار ، كان السهر والبذل والعطاء والتضحية
والدموع ، كان الجوع والمعش والتعذيب .. وأوذى النبي ﷺ ، والذين
آمنوا معه ، أوذوا في أهلهم وكرامتهم وأوطانهم .. وفي النهاية : « ولقد

سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ^(١) » ، فكلمة « منصورون » لا تكون إلا بعد معركة ، إذن لا بد من معركة ، وقد تهيأ رجالها وسلاحها ومكانها وزمانها .

والناظر في السور التي نزلت على قلب المصطفى ﷺ قبل الهجرة – الآيات المكية – يجدها تركيز على التوحيد ورفض الأوثان والأصنام بطريق المنطق والمحاكمة العقلية ، ويجدها آيات جزاء وقيامة ، وآيات عبادات^(٢) . وسور فيها قصص الأنبياء وتشمل :

- ١ – ارسال الأنبياء إلى أقوامهم في الشعوب السابقة •
- ٢ – معارك الأنبياء مع أقوامهم معركة حتمية بين الكفر والإيمان ، بين الحق والباطل •
- ٣ – صبر الأنبياء ومن آمن معهم ، وتحملهم العذاب •
- ٤ – نصر الله لأنبيائه والمؤمنين به •
- ٥ – اصبر يا محمد صبرهم ، وأصمد صمودهم ، والعاقبة لك ولمن آمن بك • وفي أواخر أيام النبي ﷺ نزلت آيات القتال •

ومن السور المكية ، سورة يومن ، وفيها : « بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ » ، كذلك كذبَ الَّذِينَ من قبلهم فانظر كيف كانَ عَاقِبَةُ الظالمين » الآية : ٣٩ . ثم جاء في السورة : « وَاتَّلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً ثُوْجِرٍ » ، « ثُمَّ بَعْثَنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلِهِ ، كَذَّلِكَ نَطَّبَ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِلِينَ » . ثُمَّ بَعْثَنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى

(١) من سورة الصافات (وهي مكية) ، الآية الكريمة : ١٧١ / ١٧٢ ، وتنتهي الآيات بعدها : « وَإِنْ جَنَدُوا لَهُمُ الظَّالِمُونَ ، فَقُتُلُوا عَنْهُمْ حَتَّىٰ هُنَّ حَمِينَ ، وَأَبْصَرُهُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ » .

(٢) بينما السور المدنية سور تشريع بعد آيات الصبر والتحمّل . فهي آيات دولة بكل ابعادها .

آیات صبر و صود ۰
وهارون إلی فرعون وملئه بآیاتنا فاستکبروا وکانوا قوماً مجرمين » ۰۰ کلمه

وكذلك سورة البروج ، والكهف ، وابراهيم ، ونوح ، وطه ، والأنبياء ،
والقصص ، وق ، والنجم ، وفصلت ، والواقعة .. كلها سور إيمان وصبر
وصود وتحمل عذاب ، والعاقلة للتقوى .

ومما يذكر أن سورة يوسف مكية ، نزلت وظروف النبوة في مكة ظروف شاقة ، فالنبي ﷺ بمفرده ، ليس له أنصار ، وليس له أعون ، وأهل مكة بكل طاقاتهم وزعاماتهم كانوا إلباً وحرباً على رسول الله ﷺ .

سورة يوسف سورة مكية نزلت في أوج اضطهاد النبي الكريم ، فهي دواء له عليه السلام في ظروف الضغط والتشديد والخوف والرعب .. وهي تعليم بطريق القصة ، والتعليم بالقصة أرقى أنواع التعليم .

ابنلي يوسف عليه السلام وهو طفل ، بل نزل المعركة مع اخوته وهو طفل ،
فتحمّل الشدائـد ، وتحمّل ايذاء الارحـام ، الاخوة .. وهذا يشبه تماماً ايذاء
النبي ﷺ من ارحـامه وعشيرـته من عـمه أبي لهـب وقـريش .

ففي فور ان المعركة ، نزلت سورة يوسف ، وفيها مذكره أخوته ، وابتلاء
بامرأة العزيز حيث الجمال والمال والجاه ، فصمد يوسف بوجه ذلك بثبات
ورجولة وعظمة وشجاعة وانتصر في المعركة مع النفس والشيطان ، فلا انهزام
في أي معركة بعد ذلك من معارك الحياة .

اتهم يوسف في دينه ، كما اتهم في أخلاقه وسلوكه • فصبر ، ورضي بالله عز وجل نصيرا ، وإذا عناية الله رافقته فلا خوف ولا حزن • ظاهر الأحداث محن يوسف ، ولكن لو لم يثبتَ في البشر ، ولم يثبُر ، ولم يدخل السجن .. كما أن الرؤيا من الله ، والتأنويل من عند الله .. لما صار عزيز مصر .. فالأساس الصدق والصبر ، والاخلاص في الجلوة والخلوة ، فيكون وراء المحن كل التعلم ..

فسورة يوسف عليه السلام ، والنبي ﷺ في أعنف المعارك ، والأعداء حوله بكل الأسلحة المادية والمعنوية ، نزلت السورة وفيها قصة النبي ، فیا محمد إن عذتك قريش ، فيوسف عذبه إخوهه ، فانظر النتيجة والنتيجة ، انظر الى الكريم بن الكريم ابن الكريم يباع بيع العبيد ، فصبر ، فاصبر كصبره .

والنتيجة من (اقتلوا يوسف) ، ومن (شروه بشمن بخس) ، ومن (بلاء زليخا وبلاء السجن) ٠٠٠ إلى (أافت يوسف) ، يوسف الملك ، يوسف العزيز ، يوسف المجد « قد مَنَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّمَا مَنْ يَسْكُنُ وَيَصْبِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُفْسِدُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » ، الذين أحسنوا في تقواهم وصبرهم في محنتهم .

فسورة يوسف – وهي مكية كما ذكرنا – سورة الشباب الصامد المؤمن ، كيف يصل إلى عز الطاعة ، وعز الصبر ، وعز الصمود ، وعز العفاف ، وعز العزمية ٠٠٠

لقد أغري يوسف بالمرأة ومعها المال والجاه ، وأغري رسول الله بالمرأة والمال والجاه ، عرضتها قريش عليه بوجود عمه أبي طالب ، فاصبر يا محمد كما صبر أخوك يوسف من قبل .

وفي آخر السورة : « حتى إذا استیأسَ الرَّشیلُ وَظَنَّوا أَنَّهُمْ قد كثُرُوا جَاءَهُمْ نَصْرٌ ثُمَّ فَتَنَجَّىٰ مِنْ نَشَاءٍ وَلَا يُرَدِّدُ بِأَسْنَانِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ، لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلَابَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرِي وَلَكِنْ تَصْدِيقٌ لِذِي يَدِيهِ وَتَفْصِيلٌ كُلُّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » الآيات ١١٠/١١١ .

وقبيل بيعة العقبة الثانية ، وفي أواخر أيام النبي في مكة نزلت آيات القتال ، بعد آيات الصبر على الأذى ، « الصفع عن العاجل »^(١) .

(١) الآيات التي تخاطب النبي ﷺ بذرم الصبر كثيرة ، منها : « واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » ، يونس/١٠٩ فاصبر إن العاتبة للمتقين » هود/٤٩ ، « واصبر فإن =

وفي البيعة ، وفي طيات عهدها ، حملت الاذن بالحرب لايقف ايذاء
الشرك وأهله .

لقد اضطهدت قريش من اتبع النبي حتى فتنوهم عن دينهم ، ونفوه من
بلادهم ، فهم من بين مفتون في دينه ، ومن بين مُعذَّب بأيديهم ، وبين هارب
في البلاد فراراً منهم ، منهم من بآرض الحبشة ، ومنهم من بالمدينة ،
وفي كل وجه .

فلما عتت قريش على الله عز وجل ، وردوا عليه ما أراده لهم من الكراهة ،
وكذَّبوا نبيه ﷺ ، وعدَّبوا ونفوا من عبَّدَه وَوَحْكَه وصَدَّقَ نبيه ،
واعتصم بيديه ، أذِن الله عز وجل لرسوله ﷺ في القتال والانتصار من ظلمهم
وبغي عليهم ، فكانت أوَّل آية أنزلت في إذنه في الحرب ، وإحلاله الدماء والقتال
لمن بغي عليهم ، قول الله تبارك وتعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظَلَّمُوا وإن
الله على نصرهم لقدير » الذين أخرجُوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا
الله ، ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامعٍ وبسَعَ وصلوات
ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ،
الذين إن مكثاًهم في الأرض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الأمور ^(١) » .

أي أن الله سبحانه أحل لهم القتال لأنهم ظلموا ، ولم يكن لهم ذنب فيما

أَنَّه لَا يُضِيغْ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ » ، هود/١١٥ - « فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ٠٠٠ » طه/١٣٠ - « فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهَ
حَقَّ وَلَا يَسْتَخْفِنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ » الرُّوم/٦٠ ، وفي سورة غافر « فَاصْبِرْ إِنْ وَعَدَ اللَّهَ حَقَّ » في الآيتين:
٧٦و٥٥ - « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أَوْلَوْنَا مِنَ الرَّسُولِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ٠٠٠ » الأحقاف/٣٥ - « وَاصْبِرْ
لِحُكْمِ رِبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ٠٠٠ » الطور/٤٨ - « فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا » الموارج/٥ - « وَلِرِبِّكَ فَاصْبِرْ »
المدثر/٧

(١) سورة الحج ، الآية الكريمة : ٤٠

يبيهم وبين الناس ، إلا أن يعبدوا الله ، وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر .

ثم أنزل الله تبارك وتعالى : « وقاتلوا حتى لا تكون فتنة » ، أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، « ويكون الدين الله » أي حتى يعبد الله ، لا يعبد معبده غيره .

وهكذا .. وبعد ثلاث عشرة سنة من العناء والصبر والابتلاء والاعتداء ، جاء وعد الله بالنصر ، وجاء إذنه بالقتال بعد طول صبر وتحمل وايذاء .. فلَمْ تتأخر النّصر ثلاث عشرة سنة ؟

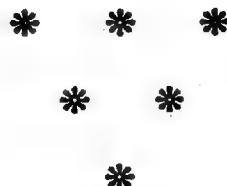
تأخر لأن النصر السريع الذي لا يكلّف عناء ، والذي يتزل هيئنا على القاعدين المستريحين يعطى تلك الطاقات عن الظهور ، لأنه لا يحفزها ولا يدعوها^(١) ..

و فوق ذلك فإن النصر السريع المهيّن سهل فقدانه و ضياعه ، أولاً^١
لأنه رخيص الثمن لم تبذل فيه تضحيات عزيزة ، و ثانياً لأن الذين نالوه لم تدرّب
قواهم على الاحتفاظ به ، ولم تشحذ طاقاتهم و تحشد لكتبه ، فهم لا تتحفّز
ولا تحشد للدفاع عنه .^٢

وهناك التربية الوجدانية والدرية العملية تلك التي تنشأ من النصر والهزيمة، والكر والفر ، والقوة والضعف ، والتقدم والتقهقر ، ومن المشاعر المصاحبة لها .. من الأمل والألم ، ومن الفرح والغم ، ومن الاطمئنان والقلق ، ومن الشعور بالضعف والشعور بالقوة .. ومعها التجمع والتنسيق بين الاتجاهات في ثنايا المعركة قبلها وبعدها ، وكشف نقط الضعف ونقط القوة ، وتدبير الأمور في جميع الحالات ..

(١) جواب السؤال المطروح هنا من تفسير الآيات السابقة في الظلال لسيد قطب ، راجع ج : ٥ ، ص : ٦٠٣ وما بعدها .

من أجل هذا كله ، ومن أجل غيره مما يعلمه الله .. جعل الله دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريقهم أنفسهم ، ولم يجعله لقية تهبط عليهم من السماء بلا عناء^(١) .



(١) الطلال ، ج : ٥ ، ص : ٦٠٤ « والاسلام مع هذا لا يهدى القتال غاية لذاته ، ولا ياذن به إلا لغاية أكبر من المهادنة والمرادعة .. إن السلام هو غاية الاسلام .. ولكنه السلام الذي لا اعتداء فيه ولا ظلم ولا بغي ولا عدوان ، أما حيث يقع البغي والمدوان على أي مقوم من مقومات الانسانية الفاضلة كعربية المعتقد وحرية العبادة ... فالاسلام لا يرضي حينئذ بسلام يقوم على هذا العدوان ، فالسلام في الاسلام تحقق الخير والعدل على النهج الذي رسّمه الله للعباد » .

« السلام العالمي والاسلامي » يتصرف .

المَهَاجِرُونَ إِلَى الْمَدِينَةِ

★ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانَةً
وَدَارًا تَأْمُنُونَ بِهَا» .
• رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إن سير الأحداث التالية قرئه سير الأحداث السابقة ..

أما وقد بايع الأنصار رسول الله ﷺ ، وأن يمنعوا في أرضهم في المدينة ،
هو ومن اتبعه .. مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم ، فقد أمر رسول الله ﷺ
 أصحابه في مكة بالخروج إلى المدينة ، والهجرة إليها ، واللحوق بأخوانهم من
الأنصار ، وقال ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمُنُونَ بِهَا» ،
فخرجوا جماعة وراء جماعة ، وأقام النبي ﷺ بمكة ينتظر أن يأذن الله له بالخروج
من مكة والهجرة إلى المدينة .

طَلَاقُ الْمَهَاجِرِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ

كان أول من هاجر إلى المدينة من المهاجرين أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد
ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قدم على رسول الله ﷺ من أرض
الجيشة ، فآذته قريش ، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، فخرج إلى المدينة
مهاجرًا .

تقول أم سلمة « زوج النبي ﷺ بعد موت زوجها أبي سلمة ، واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة » :

لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة ، رحل لي بعيره ، ثم حملني عليه ، وحمل معي ابنه سلمة في حجري ، ثم خرج بي يقود بعيره ، فلما رأته رجالبني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، قاموا إليه ، فقالوا : هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علام تتركك تسير بها في البلاد ؟ فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه ، وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة ، فقالوا : لا والله ، لا تترك ابنتنا عندها إذ نزعنوها من صاحبنا ، فتجاذبوا بشني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، قالت أم سلمة : ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني .

هكذا أخذوا إسلامهم وإيمانهم بالآلام والعقاب والصبر والدموع ، ويناله الناس اليوم بالوراثة ولا يكلفون أنفسهم جهداً بسيطاً ، ألا وهو جهد دراسته وتفهمه !

وتقول أم سلمة : فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما آزال أبكى حتى أمسى ، سَنَّة أو قريباً منها ، حتى مر بي رجل منبني عمي أحد بنـي المغيرة ، فرأـي ما بي فرحتـي ، فقال لبني المغيرة : ألا تخـرون هذه المسـكينة ، فـرـقـتمـ بينـها وـبـينـ زـوـجـها وـبـينـ ولـدـهـا (١) ؟

قالـتـ : فقالـواـ ليـ : الـحـقـيـ بـزـوـجـكـ إـنـ شـتـ ، وـرـدـ بـنـوـ عـبـدـ الـأـسـدـ إـلـيـ " عندـ ذلكـ اـبـنـيـ ، فـارـتـحـلتـ عـلـىـ بـعـيرـيـ ، ثـمـ أـخـذـتـ اـبـنـيـ فـوـضـعـتـهـ فـيـ حـجـرـيـ ، ثـمـ خـرـجـتـ أـرـيدـ زـوـجـيـ بـالـمـدـنـةـ ، وـمـاـ مـعـيـ أـحـدـ مـنـ خـلـقـ اللـهـ ..

فـمـاـ أـعـظـمـ إـلـيـمـانـ ، لـقـدـ بـدـلـ مـخـاـوـفـهـاـ أـمـنـاـ ، وـالـشـكـاقـ عـنـدـهـاـ يـسـيـراـ " وـالـبـعـيدـ

(١) ابن حـشـامـ ، جـ ٢ـ ، صـ ١٨١ـ .

قريباً ، وضعفها قوة وعزيمة ، وظلمة ليل الصحراء أمناً وطمأنينة .. وها هي تسير وحدها ، مهاجرة الى الله ، فارقة بديتها ، حتى إذا كانت بالتنعيم^(١) لقيت عثمان ابن طلحة بن أبي طلحة .

تقول أم سلمة : فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ فقلت : أريد زوجي بالمدينة ، قال : أو ما معك أحد ؟ قالت : لا والله إلا الله وبثني هذا . قال : والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عنى ، حتى إذا نزلت استأخر بيعيري ، فحَاطَ عنه ، ثم قيده في الشجرة ، ثم تنهَى عنى إلى شجرة فاضطجع تحتها ، فإذا دنا الرواح ، قام إلى بيعيري فقدَّمه فرحاً ، ثم استأخر عنى ، وقال : اركبي ، فإذا رَكِبتْ واستويت على بيعيري أتي فأخذ بخطامه حتى ينزل بي حتى أقدمني المدينة .

فلما نظر إلى قريةبني عمرو بن عوف بِقِبَاء قال عثمان بن طلحة لأم سلمة: زوجك في هذه القرية ، فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة ، وكانت أم سلمة تقول : والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .

ملاحظات

١ - لما خرجت أم سلمة كانت عازمة على أن تهاجر وحدها في الصحاري والجبال ، تحمل طفلها على بعيرها ، ولعلها قبل دخول الإيمان إلى قلبها ، واحساسه بالله عز وجل ، كانت تخاف الاتصال من حي "إلى حي" إلى حي وحدها ، أما بعد

(١) التنعيم : موضع بمكة ، على فرسخين منها ، وسمى بذلك لأن جيلاً عن يمينه يقال له نعيم ، وآخر عن شماله يقال له ناعم ، والوادي نعمان ، وبالتنعيم مساجد حول مسجد عائشة ، وستقايا على طريق المدينة ، منه يحرم المليون بالعمرمة .

- معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٩ .

إسلامها فهي مع الله قيوم السموات والأرض ، « أو ما معك أحد ؟ قالت : لا والله إلا الله وبئني هذا » . لقد بدل الإسلام صفاتهم ومشاعرهم وحياتهم إلى الكمال، وأوجد الإنسان الرّباني الذي تتلاشى رغباته عند رغبات الله وأوامره ٠

٢ - عثمان بن طلحة مشرك ، ولكن النجدة والشهامة كانت في روح العربي منذ جاهليته ، فبذور الخير موجودة في قلوب الكثرين ، ومثل عثمان بن طلحة سيقوده عقله إلى الإسلام ، ولقد أسلم عثمان بن طلحة قبل فتح مكة ، وكان له في تاريخ الإسلام شأن ، فقد أسلم في هدنة الحديبية ، وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد ، وقتيل يوم أحد إخوته وأبيه وعمه ويده مفاتيح الكعبة ، دفعها رسول الله ﷺ عام الفتح إلى عثمان بن طلحة وإلى ابن عمّه شيبة بن أبي عثمان . وقتل عثمان بن طلحة رحمة الله شهيداً في أول خلافة عمر بأجنادين ٠

* * *

وكان أول من قدم المدينة بعد أبي سلمة : عامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبي حسنة ، ثم عبد الله بن جحش مع أهله وأخيه ، فأغلقت داره لهجرة أصحاب الدار كلهم ، فقال عتبة بن ربيعة : أصبحت داربني جحش خلاء من أهلها ، فقال أبو جهل : هذا عمل محمد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وقطع بيننا ٠

وتتابع المهاجرون جماعات إلى المدينة ، ومنهم : عكاشه بن محسن ، وشجاع وعقبة ابنا وهب ، واريد بن حميرٌة ، وثقف بن عمرو ، وسخرة بن عبيدة ، ومن النساء : زينب بنت جحش ، وأم حبيب بنت جحش ، وجذامة بنت جندل ، وأم قيس بنت محسن ، وأم حبيبة بنت ثمامنة ، وآمنة بنت رقيش ، وسخرة بنت تميم^(١) ٠

ثم هاجر حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كنافز بن حصن ، وعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوام ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وعتبة بن غزوان ، وعثمان بن عفان ٠

(١) ابن هشام ، بـ ٢ ، ص ٨٣ .

هِجَرَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مَعَ الْمُهَاجِرِينَ

روى عليٌّ رضي الله عنه : ما علمت أحداً من المهاجرين هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب ، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه ، واتضى في يديه أسماء ، واختصر عنزته (وهي الحربة الصغيرة عائقها في خاصرته) ، ومضى قبل الكعبة والملا من قريش بفتائهما ، فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أتى المقام فصلى ركعتين ، ثم وقف على الحلق (المجالس ، مجالس القوم وحلقاتهم) واحدة واحدة ، فقال : شاهت الوجوه ! لا يرغم الله إلا هذه المعاطس ! من أراد أن تشكه أمشه ، أو يتوسم ولده ، أو ترمّل زوجته فليلحقني وراء هذا الوادي . قال عليٌّ : مما تبعه أحد ، ثم مضى لوجهه .

ولما عزم عمر على الهجرة أخبر عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص ، واتفقوا على الصحبة على أن يجتمعوا في منازلبني غفار على عشرة أميال من مكة ، فمن تخلف عن الموعد تركوه ورحلوا ، فجاء عمر وعياش وجنس هشام في مكة وفتن عن دينه ، فسارا حتى وصلا قباء ، فنزلَا على رفاعة بن عبد المنذر ، ولبث عمر عنده حتى لحق به من أهله وقومه أخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا شراقة ، وخنيس بن حذافة السهيمي (وكان صهره على ابنته حفصة ، فخلف عليها رسول الله ﷺ بعده) وسعيد بن زيد بن عمرو بن ثقيل ، وواقد بن عبد الله التيمي « حليف لهم » وآخرون ، ثم قدموا المدينة .

عمر هاجر علينا ، وسيهاجر النبي سراً ، فهل عمر أجراً من النبي وأقوى ؟
عمر لم يكن مستهدفاً في ذاته ، أما النبي ﷺ فهو مستهدف لاستهداف
الرسالة كلها في شخصه . وقريش ما جعلت سبعين شاباً لقتل عمر ، لأن قتل عمر

(١) رابع لهجرة عمر العلنية « السيرة النبوية » هامش السيرة الحلبية ، ج : ١ ، ص : ٣٤٠

قتل فرد من الجماعة المؤمنة المسلمة ، قريش تطلب النبي وتريد قتله لقتل ووأد الرسالة ، ومحو الإسلام بمحو شخصه الكريم •

ويؤيد هذا معركة أحد ، لما قيل إن النبي قُتِل ، أوقف القرشيون الحرب ظناً منهم أنهم قضوا على الإسلام في أحد بقتل النبي • لذلك قال أبو سفيان : أَعْلَمْ هَبْلٌ ، أَعْلَمْ هَبْلٌ ، أَيْ اتَّهَى الإِسْلَامُ ، وَبَقِيتِ الْوَثْنِيَّةُ دِينُ قَرِيشٍ • وسؤال أبي سفيان لعمر بعد أحد : أَقْتَلْنَا مُحَمَّداً؟! يَعْلَمُ الْقَارِئُ أَنَّهُمْ قريش شخص النبي ﷺ •

ويؤيد هذا أيضاً هجرة صهيب الرومي بعد وصول النبي ﷺ إلى المدينة المنورة ، قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكاً حقيراً ، فكثراً مالك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بما لك ونفسك؟ والله لا يكون ذلك ، فقال لهم صهيب : أرأيتم إن جعلت لكم مالي ، أتخلثون سبيلي؟ قالوا : نعم ، قال : فإني جعلت لكم مالي ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : رب صهيب ، رب صهيب • وهكذا تركت قريش صهيباً^(١) يهاجر بعد مصادرة أمواله ، ولم تستهدفه في شخصه •

وخلاصة القول استهدفت قريش النبي بذاته الشريفة للقضاء على الرسالة في مهدها^(٢) ، بينما لا تطمس الرسالة بقتل سواه ، بل تبقى في سيرها الطبيعي • والله تبارك وتعالى ما قبض النبي إلا بعد ان استكملت الرسالة في كل أبعادها :

(١) أبو يحيى صهيب بن سنان بن مالك ، يقال له الرومي لأن الروم سبوه صغيراً ونشأ عندهم ، اشتراه عبد الله بن جدعان فاعتقه ، ولما أراد الهجرة تبعه المشركون ، فاخذوا مافي كنانته من سهام ، وقال : يا مشرق قريش ، تعلمون أنني من أرماك ، والله لا تصلون إلى حتى أرميك بكل سهم معن ، ثم أضرركم بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ، فكان كتمت ت يريدون مالي دللكم عليه ، قالوا : فدلنا على مالك ونخلط عنك ، فتعمدوا على ذلك ، فدلم عليهم عليه ، ولحق برسول الله ﷺ ، فقال رسول الله : رب البيع آبا يحيى ، وانزك الله عز وجل : « ومن الناس من يشتري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءوف بالعباد » البقرة / ٢٠٧ ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، توفي بالمدينة ودفن فيها سنة ٣٨ هـ وهو ابن ثلاث وسبعين سنة ، « راجع أسد الثابة » ، ج : ٣ ، ص : ٣٦ / ٣٧ .

(٢) والنبي ﷺ مشرع ، وعمله تعليم لامته من بعده ، فاستخدام العقل وتعاطي الأسباب هو الأصل وهو عمل المشرع .

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام دينا» ، المائدة / ٤

وستكون أعمال قريش كلها أعمالاً طبيعية عادية في حياة من يدعوا إلى الله ، إنها كالظلال على صفحات المياه . فكما أن صورة الأشجار - مهما كانت ضخمة عظيمة - على وجه الأنهر لا تمنع جريانها ، كذلك أعمال من يحاول زعزعة الحق وهزيمته ، ولكن : «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل رلا تستعجل لهم ، كائنة يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بлагٍ فهل يتهلك إلا القوم الفاسقون » الأحقاف / ٣٥ . «فاصبروا إن العاقبة للمتقين » هود / ٤٩ .



هِجْرَةُ الرَّسُولِ الْأَعْظَمَ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ النِّئَانِ إِذْ هُمَا فِي النَّارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحْبِهِ ﴿ تَعْزِيزٌ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ فَانْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِعِنْدَهُ لَمْ تَرُوْهَا ﴾ وَجَعَلَ كَلْمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلْمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

﴿ التَّوْبَةُ / ٤٠ ﴾

وأقام رسول الله ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ، ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ، ولم يتخلف أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن ، إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم ، وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة ، فيقول له ﷺ : لا تتعجل ، لعل الله يجعل لك صاحباً ، فيطمع أبو بكر أن يكونه^(١) .

وتبيّنت قريش لخطر الموقف ، وأنّ زمامه قد أفلت من يدها حقاً وفعلاً ، لقد صار لرسول الله ﷺ شيعة وأصحاب من غير قريش ، وبغير بلد قريش ، إنهم هناك في يثرب ، ورأت قريش خروج المهاجرين إليها ، وعلمت أنهم قد نزلوا

(١) ابن مسام ، ج : ٢ ، ص : ٨٩ . والطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٦٩ ، والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٧٠ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، ج : ١ ، ص : ٢٢٧ .

داراً ، وأصابوا بالأنصار منعة ، وما اجتمع المهاجرون والأنصار إلا لحماية الدعوة ، وبناء الإسلام ولو كلفهم ذلك حياتهم . فأدركت قريش أنهم اجتمعوا لحربها ، وخروج النبي ﷺ إلى المدينة يعني اكتمال الأمر من قاعده إلى قمة الهرم . ودليل ادراك قريش خطورة الموقف ، وأن زمامه قد أفلت من يدها تنادي أبنائها للاجتماع بدار الندوة ، للتداول والتشاور فيما يصنعون في أمر محمد بن عبد الله حين خافوه .

في دار الندوة: الاتِّقَال مِنِ الْإِيَّادِ إِلَى الْأَفَاءِ

وفي دار الندوة^(١) ، تمثل الشر في إبليس ، على شكلشيخ من أهل نجد ، اجتمع مع أشراف قريش . فمنبني عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومنبني نوفل بن عبد مناف : طعيمة بن عدي ، وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل ، ومنبني عبد الدار بن قصي : النضر بن الحارث بن كلدة ، ومنبني أسد بن عبد العزى : أبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام ، ومنبني مخزوم أبو جهل بن هشام ، ومنبني سهم : نبيه ومنبه ابن الحجاج ، ومنبني جمع : أمية بن خلف وآخرون من لا يعد من قريش^(٢) .

لِمَ هذا الاجتماع على هذا المستوى من الأشراف والزعماء^{٤١٤} .
الجواب من تساؤلاتهم في دار الندوة : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فإنما والله ما نأمه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعُوا فيه رأياً . إِنَّمَا يشعرون اليوم أنَّ مُحَمَّداً ﷺ أصبح قادرًا على الوثوب عليهم ، إنه اليوم نِدٌ قوي يحسب حسابه ، فثلاث عشرة سنة من الصبر والتَّصْبِير وتحمل

(١) وهي دار قعي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها .

(٢) الطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٧٠ ، والكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٧٦ . والسيره النبوية ، ج : ١ ، ص : ٣٥٤ ، وابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩٠ .

العذاب والاضطهاد والفتن ما ضاعت ، بل كانت بذوراً طيبة عميقة في النفوس المؤمنة ، أنبتت عندما آذن الله سبحانه ، قوةٌ وعزيمة ، هي اليوم توازي قوة قريش ، بل باتت قريش تخشاها ، وقد كانت زعيمة العرب الأولى بلا منازع .

وقالوا في دار الندوة : أجمعوا في محمد رأياً .. فتشاوروا ، وقد امروا

الحلول التالية :

١ - جسنه عليه السلام في الحديد ، واغلاق الباب عليه حتى الموت . فالحل الأول سجنه عليه السلام في سجن أحكم اغلاق بابه حتى الموت .

ونقضَّ هذا الحل الشيخ النجدي بقوله : لا والله ، ما هذا لكم برأي ، والله لئن حبستمُو كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فلاوشكوا أن يثروا عليكم ، فينزعوه من أيديكم ثم يكاثر وكم به ، حتى يغلبواكم على أمركم ، ما هذا لكم برأي ، فانظروا في غيره . وقبلوا منه استبعاد هذا الحل .

٢ - نفيه عليه السلام من أرض قريش ، وآخرأجده من بين أظهرهم « فإذا أخرجنا فواهله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه أصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت » .

فالحل الثاني نفيه ، وذلك بربطه على جمل وتسيره في الصحراء . ورد الرأي الثاني الشيخ النجدي أيضاً بقوله : لا والله ، ما هذا لكم برأي ، ألم تروا حسن حدثه ؟ وحلوة منطقه ، وغلبة على قلوب الرجال بما يأتي به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتُ أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتبعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد . دبروا فيه رأياً غير هذا . فكان الرأي الثالث من أبي جهل بن هشام .

٣ - قال أبو جهل : والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد . قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن تأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً

وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا إلينه فيضربوه بما ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف – قوم النبي ﷺ – على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا مانا بالعقل – بالدية – فعقلناه لهم .

قال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي الذي لا أرى غيره .
فتفرق القوم على ذلك وهم مجتمعون له . وسجل القرآن الكريم هذه الحادثة في الآية الكريمة :

«إِذْ يُكَثِّرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُشْتُوكُوا أَوْ يُقْتَلُوكُوا أَوْ يَتَخْرِجُوكُوا وَيُمَكِّرُونَ وَيُكَثِّرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ^(١)» .

دبّرت قريش خطتها ، ورسمت طريقة أرادت تنفيدها ليلاً . . . ولكن هيئات فلله تدبير فوق تدبيرهم ، ويد " فوق أيديهم . . . ونزل جبريل الأمين بوحي من الله سبحانه يخبر النبي بما عملوا وبيتوا ، وأذن له بالهجرة . وقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه .

وقدّر النبي ﷺ موقف قريش ، وأخذ يدبّر أمره بخطة سرقة حرص لا تتسرّب إلى قريش ، وقدّر أن قريشاً سترصد أفواه الطرق ، وستبذل كل ما تستطيع من جهد إذا علمت بخروجه ، فإذا أعجزها العثور عليه ، وغلبت على أمرها واستسلمت للناس حتى إذا استيقنت أنه قد فاتها إدراكه ، هدأت ثائرها ، وكفت عن طلبه وتتبّعه .

فلما كانت عتمة من الليل اجتمع من كل قبيلة شاب على باب بيت المصطفى ﷺ يرصدونه متى ينام ، ليثبوا عليه ﷺ ، فلما رأى مكانهم استعمل النبي الحكمة والعقل عندما خدع المتأمرين وأمر علياً كرم الله وجهه أن ينام على فراشه . قال ﷺ لعلي : « نَمْ على فراشي ، وتسج بيردي هذا الحضرمي

(١) سورة الانفال ، الآية الكريمة : ٣٠

الأخضر ، فنم فيه ، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم » ، وكان رسول الله ﷺ ينام في بردۀ ذلك إذا نام^(١) .

كما أمر النبي عليه أَن يرد وداعٍ وآمانات الناس إِلَيْهم •

ونام علي كرم الله وجهه وهو مطمئن تماماً أن المشركين لن يصلوا إِلَيْهِ بسوء .
كيف يخاف وقد أخبره من لا ينطق عن الهوى بأنهم لن يمسوه بمكرهه !!؟ وكيف
يخاف علي " وقد طمأنه حبيبه ؟

"نام علي" في فراش رسول الله ﷺ مطمئناً غير وجيل ، فالنبي استشف المستقبل ياذن الله وأخبره بما سيكون بأنهم لن يخلصوا إِلَيْهِ • ونقول هنا :
كثيراً ما تنبأ النبي بأشياء آتية مقبلة ، وتكون كما أخبر بها ﷺ . فلو لم يكن
نبياً مرسلاً حقاً وصدق لما أقحم نفسه الشريفة بمثل هذه المواقف . فنبوة واحدة
يقولها ﷺ ويأتي الزمن بخلافها كافية لتشكك المؤمنين والناس أجمعين بالتبوءة
كلها والوحى والرسالة من أنسها . ولكن المصطفى - ﷺ - أتى الزمان بعده
أم قرب ليثبت ما تنبأ به كما وصف ، وكما أخبر ، مثل اخباره بموت كسرى يوم
اغتياله بالذات ، وكاخباره بفتح مدائن كسرى والقصور البيض في الشام ،
واخباره ووصفه بيت المقدس وقوافل قريش عند الاسراء ، واعلامه بفتح
القسطنطينية ويدفن رجل صالح عند أسوارها وكان أبو أيوب الانصاري ذلك
الرجل الصالح . والأمثلة كثيرة في كتب السيرة والحديث .

فعلي مطمئن ، والنبي من باب أولى في طمأنينة تامة ، إنه في أوج الامن
والأمان لأن الله معه ، يدبر أمره ، ويعصمه من الناس . فلا اضطراب ولا وجع
مما تكيد له قريش .

اجتمع شباب قريش وفيهم أبو جهل بن هشام الذي قال لهم على باب بيت

(١) مروج النعم ، ج : ٢ ، ص : ٢٨٥ ، والكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٧٢ ، والطبرى ،
ج : ٢ ، ص : ٣٧٢ . وابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩١ . والسيرة النبوية ، ج : ١ ، ص : ٣٥٥ / ٣٥٦ .

المصطفى ساخراً مستهزئاً وقد ظن أن الأمر بات بيده ، واليوم يقضي على محمد وبالتالي على الدعوة كلها ، قال أبو جهل : إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها^(١) .

سمع النبي ﷺ قول أبي جهل ، فخرج عليه الصلاة والسلام وهو يتلو قوله تعالى : « يس ، والقرآن الحكيم ، إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ، عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنْزِيلٌ عَزِيزٌ الرَّسِيمٌ لِتَشَدِّرَ قَوْمًا مَا أَنذَرَ رَبَّهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ، لَقَدْ حَقَّ ۝ القول على أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يَؤْمِنُونَ ، إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ۝ فَهِيَ إِلَىٰ الْأَذْفَانِ فَهُمْ مَقْمُحُونَ ، وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًا ۝ وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًا ۝ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبَصِّرُونَ ۝ » .

وقال ﷺ لأبي جهل ردأ على قوله واستهزأ به وسخر منه : « أنا أقول ذلك ، أنت أحدهم » . وأخذ الله عز وجل على أبصارهم عنه ﷺ ، فلا يرونـه ، وألقى الله عليهم جندياً من جنوده اسمه النوم « لا يعلم جنود ربـك إلا هو » جعلـهم في سلاسل لا يستطيعـون الحراك ، ومنعـهم الابصار . وأعماـهم بدون عـمى ، ومنعـ عنـهم السـمع من غير صـمم .

وخرج رسول الله ﷺ بكل عزة وافتخار واعتزاز بالله ، وبمـتهـيـ الطـمائـنةـ بالله ، وجعل ينشر التـرابـ على رؤوسـهمـ — وهو يتـلوـ الآياتـ الأولىـ منـ سـورـةـ يـسـ — فـلمـ يـقـ منـهـ رـجـ إـلاـ وـوـضـ النـبـيـ ﷺ عـلـ رـأـهـ تـرـابـاـ ، ليـعـلـمـواـ وـتـعـلـ قـريـشـ مـعـهـ أـمـرـاـ ثـلـاثـةـ :

١ - لقد خرج النبي الكريم وهو في غاية الهدوء والأمن ، لم يفر منهم ، ولم يهرب مسرعاً ، بل تمـهـلـ فهوـ معـ حـلـيفـ لاـ يـغلـبـ « إـنـهـ مـعـ اللهـ تـبارـكـ وـتـعـالـىـ »

(١) قول أبي جهل في ص : ٣٥٦ من الجزء الأول في السيرة النبوية . وفي الطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٦٩ .

٢ — حفنة التراب على الرؤوس مع كونها دليلاً عملياً حسرياً على الهدوء النفسي عند رسول الله ، إلا أنها أيضاً تحير لكرفهم وشركهم ، لقد عُقرّت الرؤوس الوثنية المشركة ، فهذا ذل يقابلها عز للنبي وكرامة ورفة .

٣ — وهذا أثبات لقريش — وللعالم أجمع فيما بعد — أن الدعوة في حماية الله عز وجل ، رعاها في شخص المصطفى ﷺ ، وستكون لأصحابه الكرام جنات في الأردن والشام والعراق ، بل جنات بين المحيطين الأطلسي والمادي ، وسيصبحون أبناءها وملوكها ، وسيملكونها لينفقوها في سبيل الله .

وخرج النبي ﷺ إلى دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد أذن الله عز وجل له عند ذلك في الهجرة ، ليتخذه صاحباً في طريقه إلى معلم الإسلام الأول .

وكان أبو بكر يطعم بأن يكون صاحب النبي في هجرته منذ أن استأذنه في الهجرة ، وقال له ﷺ : لا تتعجل ، لعل الله يجده لك صاحباً . فابتاع راحتين ، فاحتسبهما في داره ، يعلقهما إعداداً لذلك ، وهذا فهم من أبي بكر عميق ، لتلميح رسول الله له بالأمر .

وأتى فتيان قريش الذين في باب بيت رسول الله آتٍ من لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمداً ، قال : خيبركم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟

لقد عرف الرجل خروج النبي من حال فتيان قريش ، فهم نيا ، وإنسان وضع على رؤوسهم التراب !! فوضع كل رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون علياً على الفراش متسبجاً بيرد رسول الله ﷺ ، فلم ييرعوا كذلك حتى أصبحوا ، فقام علي كرم الله وجهه من الفراش ، فقالوا :

لقد كان صدقنا الذي حدثنا^(١) .

إِلَّا غَارِثُؤْرِ

هجرة النبي ﷺ إلى المدينة هجرة مؤكدة منذ بيعة العقبة الثانية ، فهي
— نصاً وروحاً — تحمل معنى الهجرة ، فالأنصار سيحملون النبي ﷺ في ديارهم ،
وليس لهم من الأمر شيء في مكة ، وقول العباس واضح جليّ : « إنَّ مُحَمَّداً مَنْ
حَيَّثْ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ مَنَعْنَا مِنْ قَوْمَنَا ، فَهُوَ فِي عَزِّ قَوْمِهِ وَمَنْعَةِ فِي بَلْدِهِ ،
وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الاتِّحَاذَ إِلَيْكُمْ وَاللُّحُوقَ بِكُمْ ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافْنُونَ بِمَا
دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ وَمَا نَعْوَهُ مِنْ خَالِفَهُ فَأَتَمْ وَمَا تَحْمَلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ
أَنَّكُمْ مُشَتَّلِّمُوهُ وَخَادِلُوهُ بَعْدِ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ ، فَمَنْ الآنُ فَدَعَوْهُ » .

وهجرة الصحابة كلهم تقريباً قبل رسول الله ﷺ ، تعني أيضاً أنه سيرهم
أمامه ، وسيتحقق بهم دون شك .

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : كان لا يخطيء رسول الله ﷺ أن
يأتي بيته بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة ، وإما عشيّة ، حتى إذا كان اليوم
الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة ، والخروج من مكة من بين قومه ،
أتانا رسول الله بالهجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها ، فلما رأه أبو بكر قال :
ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة ، إلا لأمر حدث ، فلما دخل ، تأخر له أبو بكر
عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا — تقول ذلك
السيدة عائشة — وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ أخرج عني
مَنْ عَنْدَكَ ، فقال : يا رسول الله ! إنما هما ابنتاي ، وماذاك ؟ فدَاكَ أبي وأمي !

(١) سؤال قد يتبرد إلى الذهن : لماذا لم يقتum رجال قريش دار النبي ﷺ منذ أول عتمة الليل ،
وهم الذين جاؤوا لقتله . والاجابة : لقد همروا بالفعل بعمل هذا واللوجو عليه ﷺ . فاسمعهم الله عز وجل
صياح امرأة من الدار . فقال بعضهم لبعض : والله إنها للسبّة في العرب أن يتحدث عننا أنا تسورنا
الحيطان على بيوتكم ، وهتكنا ستراً حرمتنا . فاقاموا عند الباب وحول الدار .

فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة . فقال أبو بكر : الصحابة يارسول الله . قال رسول الله ﷺ : الصحبة^(١) .

الصحبة كلمة عظيمة فيها سر عظيم ، وصحبة الجسد ، صحبة جيدة فيها بركة وخير ، ولكن صحبة الروح إلى الروح هنا السر الأعظم ، إنها صحبة تلقٌ وتعلّم ، وصحبة إيمان ، وصحبة نور وعروج . صحبة أبي بكر للنبي الكريم صحبة تلميذ لمعلّم ، وصحبة طالب لمطلوب . فوقدر في قلب الصديق نور وإيمان مالو وزع على الخلق لوعتهم .

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يكفي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يكفي يومئذ .

ثم قال أبو بكر رضي الله عنه : يابني الله ، إن هاتين راحلتيان قد كنت أعددتهما لهذا ، فاستأجراء عبد الله بن أرقط ، رجلاً منبني الدئل بن بكر ، وكانت أمّه امرأة منبني سهم بن عمرو ، وكان مشركاً ، استأجراه ليدلهما على الطريق ، فدفعا إلينه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما^(٢) .

وهكذا لم يعلم بخروج رسول الله ﷺ إلا رجالان وأمرأتان ، علي وأبو بكر ، وعائشة وأسماء .

وأخبر النبي ﷺ علياً بالهجرة ، وأمره أن يتخلّف بعده بمكة حتى يؤدي الودائع عن رسول الله ، الودائع التي كانت عنده ﷺ للناس ، فليس أحد بمكة عنده شيء يخشى عليه ، إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأماتته .

(١) الطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٧٥ . والكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٧٣ ، وابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩٣ ، والسيرۃ النبویة ، ج : ١ ، ص : ٣٥٨ . والوفا باحوال المصطفى ، ج : ١ ، ص : ٢٣٥ ، وعيون الاثر : ج : ٢ ، ص : ٨١ .

(٢) لأخبار الدليل عبد الله بن أرقط (أو أريقط) راجع : مروج الذهب ، ج : ٢ ، ص : ٨٥ ، والكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٧٣ ، والطبرى ، ج : ٢ ، ص : ٣٧٦ . وابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩٤ . وضبط ابن سعد في طبقاته اسم الدليل : « عبد الله بن أريقط » ، ج : ١ ، ص : ٢٢٩ .

وتساءل : هذه الودائع من وقد هاجر المسلمين كلهم من مكة إلى المدينة ؟

إنها ودائع قريش حتماً ، فكيف تضعها عند النبي ﷺ وهي التي تصر على الشرك والأوثان ، ومحاربة الإسلام ، فكيف تضع ودائعها عند نبي الإسلام ؟ !؟

إن عمر الدعوة ثلاث عشرة سنة ، وهي مدة التطاحن الفكري العميق والجذري • ومع ذلك بقيت قريش تضع ودائعها عند رسول الله ﷺ ، وهذا دليل على معرفة قريش أمانة رسول الله وخلقه القويم ، وإنها – أي الودائع – في حrz مكين من الأمانة بيد رسول الله • وكان من المفروض أن يسوق ذلك قريشاً لتصديق الرسالة ، ومحمد هو الأمين منذ أول شبابه • ولكنه عدم التوفيق في تحكيم العقل السليم لاستشفاف صدق الرسالة ، ولعلها المكابرة كما كانت عند أبي جهل ، فهو – وهو يموت في نهاية معركة بدر الكبرى – يعلم أن محمدًا رسول الله ، ولكنه لا يقرّ لبني هاشم بنبوة • وهذا خذلان ، فإن لم تك نبأ ، فكن صدِّيقاً ، كن صاحبًا جليلًا !!

وخرج النبي ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنه من خوخة^(١) لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمداً إلى غار ثور^(٢) ، فدخله ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمّع لهما ما يقول الناس فيهما في النهار ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من خبر • وأمر عامر بن فهيرة مولاً ، أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يريجهما عليهما يأتيهما إذا أمسى الغار ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام إذا أمسى بما يصلحهما •

دخل النبي وصاحبه إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ يتلمس الغار ، لينظر فيه سبع أو حيّة ، فهو يقي رسول الله

(١) الخوخة : الباب الصغير في البوابة الكبيرة ، يدخل الناس منه ويخرجون .

(٢) غار ثور في طريق المنحدر من مكة إلى اليمن على مسيرة ساعتين ، في جبل عال ذي قمنين • وهو في مرتفع صعب وعر شديد الانزلاق كثير المضائق والصخور ، يبذل الصاعد إليه جده وقوته ويستعين بكل خبرته وحذقه حتى يصل إلى الغار عند القمة ، فيجده كهفا ضيقاً لا تزيد مساحته على مترين ونصف المتر رابضاً تحت صخرة ضخمة تقسى بجوفه ظلمة خفيفة . « صور من حياة الرسول » ، ص : ٢٤٠ .

بنفسه ، وما وصل الصِّدِّيق إلى مرتبة الصديقية إلا بمحبة رسول الله . هذه المحبة التي أنبتت إيماناً ونوراً وعشقاً لله في قلب أبي بكر ، فهو وما يملك للإسلام ونبي الإسلام ، أما تبرئ بـ كل ماله ؟ فسأله ﷺ : ماذا أبقيت يا أبو بكر لأهلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله .

ودخل الصِّدِّيق إلى الغار ، فجعل يتلمس بيديه ، فكلما رأى جحراً شَقَّه جزءاً من ثوبه ثم ألقمه الجحر ، حتى فعل ذلك بشوبه أجمع ، فبقي جحر فوضع عَقِبِه^(١) عليه . فأبو بكر يهمه سلامته النبي لتأمين سلامة الدعوة ، لذلك أثناء صعوده مع النبي إلى الغار ، جعل يمشي مرآة أمامه ، ومرآة عن يمينه ، ومرآة عن شماله .

فقال له رسول الله ﷺ : ما هذا يا أبو بكر ؟ ما أعرف هذا منْ فعلك .
فقال : يا رسول الله أذكر الرَّصَد^(٢) فـ أكون أمامك ، وأذكر الطَّلَب
فـ أكون خَلْفَك ، ومن عن يمينك وعن يسارك ، لا آمن عليك .

قال أبو بكر : فمشى رسول الله ﷺ ليتلمس على أطراف أصابعه حتى حفظ رجلاه ، فلما رأه أبو بكر أنها قد حفظ حمله على كاهله وجعل يستند به حتى أتى به الغار فأنزله . ثم قال : والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله ، فإن كان فيه شيء نزل بي قَبْلَك ، ففعل ولم ير شيئاً ، فحمله وأدخله .

وكان في الغار خرق فيه حيات وأفاع ، فخشى أبو بكر أن يخرج منها شيء فيؤذى رسول الله ﷺ ، فألقمه قدمه — كما مرَّ معنا قبل قليل — فـ جَعَلَ يضربهه ويسعنـه — الخيات والأفاعي — وجعلت دموعه تنحدر ، ورسول الله نائم في حجر أبي بكر ، فلم يتحرك أبو بكر لثلا يوقظ رسول الله .. ولكن ألم السم

(١) العَكْبَـ : المراد هنا مؤخر القدم ، الصَّـاحِـ : ٤٤٣ .

★ ولا تلمس أبو بكر الغار دميت يده بحجر ، فنظر إليها وقال :

إن أنت لا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لاقيت .

رابع : البداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٨٠ .

(٢) الرَّصَد : الرقباء والصيون .

جعل دموعه تنحدر فسقطت الدموع على وجه المصطفى الشريف ، فاستيقظ ،
وقال : مالك يا أبي بكر ؟ قال : لدِّيْغْتُ ، فدَاكَ أبي وأمي . فتنقل عليهما مكان
اللَّئَسْعَ 『 فذهب الأَلْمَ وَالوَرْمَ (١) 』

ولما أصبحا رأى رسول الله عليهما وضعاً أبي بكر ، فسألته عن ثوبه ، فأخبر
بالذى صنع ، فرفع عليهما يديه وقال : اللهم اجعل أبي بكر معي في درجتي يوم
القيمة ، فأوحى الله تعالى إليه : قد استجبت لك (٢) .

* * *

جُنُونُ قُرَيْشٍ

جُنُونٌ جُنُونٌ قُرَيْشٌ ، وطار صواب أبي جهل ومن معه ، وأحدقوا بعلي
كرم الله وجهه يتجادبونه وينهرونه ويسألونه عن محمد ، أين ذهب ؟ وأين
اختفى ؟ ! وعلي يجيب بهدوء : لا أدرى ! أمرتموه بالخروج فخرج .

ثم ادخلوه كرم الله وجهه إلى المسجد فحبسوه هناك ، وحاولوا بكل وسيلة
أن يعرفوا منه مكان النبي عليهما ، وعيثًا حاولوا . فلما استيأسوا منه أطلقوه ،
فقام بالأبطح ينادي : « من كان له عند رسول الله عليهما وديعة فليأت تؤدّه إلهي
أمانته » .

وذهب نفر من قريش على رأسهم أبو جهل بن هشام إلى بيت أبي بكر ،
فهم يعلمون أنه لم يبق من المسلمين في مكة إلا علي وأبو بكر . فعلى بين أيديهم ،
فليسألوه عن أبي بكر .

(١) كتاب « السيرة النبوية ، والآثار الحمدية » ، هامش السيرة الحلبية ، الجزء الأول ، ص : ٣٦٥ .

(٢) الوفا في أحوال المصطفى ، ج : ١ ، ص : ٢٣٧ . وسيرة ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩٣ .

يقول سيدنا عمر بن الخطاب عن هذه الليلة في الغار : « واتّه لليلة من أبي بكر ويوم خير من آل عمر ،
وفي رواية : « خير مما أعطى عمر وآل عمر » . وراجع حلية الأولياء ، ج : ١ ، ص : ٣٣ .

تقول أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها : لما خرج رسول الله ﷺ وأبوبكر رضي الله عنه ، أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على ياب أبي بكر ، فخرجت إليهم ١٩١ ف قالوا : أين أبوك يا بنت أبي خبيثا

فكان رد أسماء ردَّ المسلمة القوية العزيزة ، لا جواب الجبان الخائف المتمسكن في وجه الكفر والطغيان ، قالت موجهة الجواب إلى أبي جهل : لا أدرِي والله يا أبي ! فكان جواب أبي جهل جواب من لا جواب عنده ، جواب من أخرج بعودة الشتيمة إليه ، فقد رفع يده ، ولطم خد أسماء لطمة طرح منها قرطها^(١) .

ولنتصور حال قريش ، وخطورة الموقف ، يكفي القول إن مدينة بأسرها هي مكة ، أخذت تطارد وتحث وتقاوم رجالاً واحداً هو المصطفى ﷺ ، وقد أجمعـت على قتله والخلاص منه بأية وسيلة كانت .

فاقتـروا آثر الرسول الكريم ، وأخذـوا معهم خباء مختصـين في فن القيـافة ، في تتبع الآثر على الرمال ، حتى بلـغوا العـجل ، ووصلـوا بـاب غـار ثـور .

وصلـوا بـاب الغـار ، والنـبي وصـاحبه فيه ، النـبي مـطمئـن برـعاية الله ، يـحوطه بـعـانتـه ، وأن قـريشاً لن تـنال مـنه مـنـلاً مـهما دـبـرـت وـكـادـت ، وـمـهما استـعـانت بـما لـهـا مـنـ الخبرـة وـالـقـوـة وـالـمـكـانـة ، فـلـمـا وـصـلـ فـتـيـانـ قـريـشـ إـلـى الغـار ، وـسـمعـ أـبـوـ بـكـرـ دـبـبـ أـقـدـامـهـ إـزـاءـهـ اـشـتـدـ خـوفـهـ عـلـى حـيـاةـ الرـسـولـ الـأـعـظـمـ . حتى بكـى ، وـقـالـ :

(١) ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩٥ ، عيون الآثار ، ج : ٢ ، ص : ١٨٨ ، السيرة العلبية ، ج : ١ ، ص : ٣٧٢ ، وتقول أسماء أيضاً : لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبو منه ، احتمل أبي منه كلـهـ ، خـمسـةـ آـلـافـ درـهـمـ أوـ سـتـةـ الـافـ ، فـدـخـلـ عـلـيـنـاـ جـدـيـاـ أبوـ تـحـافـةـ وـقـدـ ذـعـبـ بـصـرـهـ ، فـقـالـ : وـاـللـهـ إـنـي لـأـرـاهـ قـدـ تـجـعـلـ بـمـالـهـ مـعـ نـفـسـهـ ، قـالـتـ أـسـماءـ : كـلـاـ يـاـ أـبـتـ إـنـهـ قـدـ تـرـكـ لـنـاـ خـيرـاـ كـثـيرـاـ ، قـالـتـ : فـاخـذـتـ أـسـجـارـاـ فـوـضـعـتـهـاـ فـيـ كـوـةـ فـيـ الـبـيـتـ الـذـيـ كـانـ أـبـيـ يـضـعـ مـالـهـ فـيـهـ ، ثـمـ وـضـعـتـ عـلـيـهـ ثـوـبـاـ ، ثـمـ اـخـذـتـ بـيـدـهـ ، فـقـلـتـ : يـاـ أـبـتـ ، ضـعـ بـيـدـكـ عـلـىـ هـذـاـ مـالـ ، فـوـضـعـ بـيـدـهـ عـلـيـهـ ، فـقـالـ : لـاـ بـاـسـ إـذـاـ كـانـ تـرـكـ لـكـ هـذـاـ قـدـ أـحـسـنـ ، وـفـيـ هـذـاـ بـلـاغـ لـكـ . وـلـاـ وـاـللـهـ مـاتـرـكـ لـنـاـ شـيـطاـ ، وـلـكـنـيـ أـرـدـتـ أـنـ اـسـكـنـ الشـيـفـ بـذـلـكـ . رـاجـعـ : الـبـداـيـةـ وـالـنـهـاـيـةـ ، جـ : ٣ ، صـ : ١٧٩ـ .

يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا^(١) ، فهذا رسول الله من روع أبي بكر ، وقال له : لا تحزن إن الله معنا ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ وسجلت الآية الكريمة هذه الصورة أروع تسجيل :

« إِلَّا تَتَصَرُّوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجَنَوْدِ لَمْ تَرُوكُهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٢) » .

انقطع الأثر ، ووقف القائف^(٣) حائراً تائماً ليقول : هنا انقطع الأثر ، ولا أدرى أخذ يميناً أو شماساً أم صعد الجبل .

* * *

مُعْجَزَاتُ مَلَكَاتُ

١ - نبتت شجرة تسمى « الراءة » ، مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان وزهر أبيض كالريش لخفته ولينه ، يشبه القطن ، فمحجت عن الغار أعين الكفار .
فوقع في نفس قتيان قريش ، لو دخل محمد من ه هنا لسقط زهر الشجرة الخفيف اللئين .

٢ - وبعث الله سبحانه عنكبوتاً فنسجت^(٤) خيوطها في فم الغار ، فكانت تلك الخيوط الضعيفة الواهية أمن من الأسلام الشائكة بإذن الله ، لقد كانت الخيوط الواهية أقوى من القلاع والسدود بأمر الله ومشيئته عز وجل .

(١) وبال أحد قتيان قريش قرب فم الغار في أصل شجرة ، وكاد رذاذ البول يصيب ظاهر قدم ابن بكر ، السيرة الحلبية ج : ١ ، ص : ٣٦١ . ويقال ان القائف هو الذي بال . كما بال أمية بن خلف أيضاً كما سيمر بعد قليل .

(٢) سورة التوبه ، الآية الكريمة : ٤٠ .

(٣) القائف : الذي يعرف الآثار ، « مختار الصحاح » ص : ٥٥٦ .

(٤) العنكبوت : الغالب عليها الثانية ، وجمعها (عناكب) ، « مختار الصحاح » : ٤٤٨ .

وكان كلمات كتبت على الغار ، لا تراها عيون الرأس ، ولكنها تلمس من الواقع ، وتقرأ بعين البصيرة ، كتبتها خيطان العنكبوت على مدخل الغار ، وهي « منوع الدخول » ، وهياهات لقوة مهما بلغت أن تخرق هذا الأمر ، فمشيئه الله ألا يدخلوا ، فلن يدخلوا .

٣٠ — وأرسل الله حمامتين وحشيتين باضتا في مقدمة الغار .

قال أحد القرشيين : ادخلوا الغار .

فأجابه أمية بن خلف : وما أربكم — أي حاجتكم — إلى الغار ، إن فيه عنكبوتًا من ميلاد محمد ، ثم جاء فبال ، فقال أبو بكر رضي الله عنه للنبي الكريم : إن هذا الرجل ليראنا ، وكان مواجهته ، فقال النبي عليه السلام : كلا ، إن ثلاثة من الملائكة تسترنا ^(١) .

وقال القرشيون : لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوبت .

وجاء في بعض السير ، كما ذكر ذلك صاحب « السيرة النبوية » ، والآثار المحمدية ^(٢) ، أن أبو بكر رضي الله عنه لما قال للنبي : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لرأانا ، قال له النبي عليه السلام : لو جاؤونا من هنا — أي من فم الغار — لذهبنا من هنا ، فنظر الصديق رضي الله عنه إلى الغار قد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة إلى جانبه .

وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة الإلهية العظيمة ، ولا بمستبعد بالنسبة لمعجزاته عليه السلام ^(٣) ، فقد شق الله لموسى البحر بعضا ، وهو الذي جعل النار برداً وسلاماً على إبراهيم ، وهو الذي أخرج ثاقبة صالح من الصخر ، وهو الذي جعل عيسى يتكلم في المهد ، وانزل عليه مائدة من السماء .. فالله الذي أكرم أنبياءه

(١) السيرة الحلبية ، هامشها ص : ٣٦٢/٣٦١ . وفي الجزء الأول .

(٢) هامش السيرة الحلبية ، ج : ١ ، ص : ٣٦٤ .

(٣) يقول صاحب « السيرة النبوية والآثار المحمدية » في ج : ١ ، ص : ٣٦٤ : « وإن كان الذي ذكره ما ذكر له استناداً متصلاً ، لكن حسن الظن بالآئمه يقتضي أنهم لا يذكرون مثل ذلك بتوقيف » .

السابقين بمعجزاتهم التي بهرت العقول ، مازال هو الله لا يتبدل ولا يتغير ، فهو قادر على تحقيق معجزة لرسوله الكريم بخرق الصخر وخروجها مع صاحبها من الطرف الآخر للغار ٠

* * *

في غار شور

وبقي النبي ﷺ وأبو بكر في الغار ثلاثة أيام ، وجعلت قريش في طلب مائة ناقة لمن يردهم عليهم ٠

وكان عبد الله بن أبي بكر يقيم في قريش نهاره ، يسمع ما يأترون وما يقولون في شأن رسول الله وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فأحلبا وذبحا ، فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة ، أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم ، حتى يعفى عليه ، أي يمحو أثر أقدامه^(١) ٠

من يتّهم الإسلام بالتواكل وتعطيل العقل والاتيان بالأسباب ، ومن يفهم من المسلمين أن التوكل تواكل ، فلينظر في الحادثة السابقة . لعله يعلم أن كل خطوة في الإسلام خطوة مدروسة ، والعقل فيها غير معطل ، بل منتهي التفكير والتخطيط ، وهو عبد الله بن أبي بكر يأتي ليلاً إلى الغار بأخبار قريش ، وعند عودته إلى مكة صباحاً تبعه أرجل عشرات الخراف والنعام . لتمحو أثر نعليه . أليس هذا منتهي الحكمة والعقل ! والتوكّل في الإسلام ، فوق هذا كلّه ، اعتماد على الله سبحانه : فهو مسبّب الأسباب ٠

وبعد أن يئس قريش من وجود النبي ﷺ بمكة ، بعد جهد دائم ، وبث

(١) لتفصي أخبار قريش راجع الطبرى ، ج ٢ ، ص ٣٧٦

دقيق ، وفلَّ عزماً لها الاحفاق ، فكفت عن البحث ، وأرسلت بعض فنيانها إلى طريق المدينة ، وأذاعت في أهل السواحل أن من يأتيها بمحمد أسيراً أو قتيلاً فله مائة ناقة .

ولما انقضت الليالي الثلاث ، وسكن عنهم الناس ، بدأت رحلة رعاها الله إلى المدينة .

وجاء دليل الطريق عبد الله بن أرقط بالبعيرين ، وببعير له ، وأتهمها أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بسفرهما — بطعامهما — ، ونسيت أن تجعل لها عصاماً — العجل الذي يشَدُّ على فم المزاد — فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفارة ، فإذا ليس لها عصام ، فحلَّت نطاقيها^(١) ، فجعلته عصاماً ثم علقتها به ، فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر « ذات النطاقين » لذلك^(٢) .

وقدْم أبو بكر لرسول الله ﷺ أفضل الراحلين ، ثم قال : اركب فداك أبي وأمي . فقال ﷺ : لا ، ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال أبو بكر رضي الله عنه : كذا وكذا . قال ﷺ : قد أخذتها به ، قال أبو بكر : هي لك يا رسول الله ، فركبها ، وانطلقا ، ومعهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر وهو مسلم إسلامه حسن ، ليخدمهما في الطريق ، والدليل عبد الله بن أرقط وهو مشرك .

لماذا لم يقبل رسول الله ﷺ الناقة من أبي بكر إلا بثمنها ، علماً أن أبو بكر اتفق على رسول الله من ماله ما هو أكثر من هذا بكثير وقبل ، وقال ﷺ : ليس من أحد أمنَّ عليَّ في أهل ومال من أبي بكر ؟

قال أهل العلم في اجابتهم عن هذا السؤال قوله جيلاً مقنعاً :

لم يقبل النبي ﷺ الناقة من أبي بكر في المهرة ، لتكون هجرته ﷺ إلى

(١) النطاق : شقة من ملابس النساء ، « مختار الصحاح » ، ص : ٦٦٦ .

(٢) الطبراني ، ج : ٢ ، ص : ٣٧٩ . وال الكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٧٣ ، وابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩٤ وال سيرة النبوية ، ج : ١ ، ص : ٣٦٠ .

المدينة بنفسه وما له ، رغبة منه عليه الصلاة والسلام في استكمال فضل الهجرة
والجهاد على أمم أحوالهما^(١) .

تساؤل آخر : الدليل عبد الله بن أرقط مشرك ، وهو يعلم أن قريشاً جعلت
مائة ناقة في رسول الله ، هو يعلم ذلك قطعاً لأنه مكث بين القرشين ثلاثة أيام ،
وهي المدة التي بقي فيها رسول الله ﷺ مستخفياً في الغار ، فلماذا لم يخبر
الدليل^{*} ابن الأرقط قريشاً بمكان تواجد النبي ، ليكسب أضعاف أجراه بأيسر
السبيل ، ليكسب مائة ناقة ؟!

لا بد من صدقة شخصية كانت بين أبي بكر وعبد الله بن أرقط ، منعه من
ذلك ، فإن لم نجد دليلاً صريحاً يدل على هذه الصدقة من خلال كتب السيرة
وال تاريخ ، يمكن التأكيد على أن الخيانة شئّة كبيرة عند العرب لا يرتضيها منهم
أحد ولو كان على وثنيته وشركه . ومكان النبي ﷺ وأبي بكر بالنسبة للدليل
أمانة ، ويكره العربي ويمقت الخيانة في طبعه .

وهذا يشبه إلى حد حماية بعض المشركين للنبي ﷺ ، فاستجارة النبي
بالمطعم بن عدي وهو مشرك وقبول المطعم ذلك ، ونزوله مع أولاده وأقربائه
بكامل سلاحهم إلى الكعبة لحماية النبي ، فيها صفة طيبة كانت في العربي منذ
جاهليته ، ألا وهي « النجدة » فلا يضم المستجير به .

الوداع

انطلق الركب باسم الله ، وتحت رعاية الله ، حين أرخى الليل سدوله ، وكان
القمر هلالاً في مستهل ربيع الأول ، فلم يلبث أن اختفى بُعيد الغروب ، وحين

(١) ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩٥ . والناقة التي اشتراها النبي ﷺ كانت تسمى « الجدعاء »
وهي « المضباء » كما جاء في ابن هشام ، وينظر صاحب « صور من حياة الرسول » أن اسمها « القصوار »
رابع صفحة : ٣٥٣ من الكتاب المذكور . وهي كذلك في البداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٨٨ ، وذكر
أن النبي ﷺ اشتراها بثلاثمائة درهم .

أخذ الركب وجهته الى المدينة نظر رسول الله ﷺ الى مكة ، نظرة وداع حارة ،
ثم قال ﷺ :

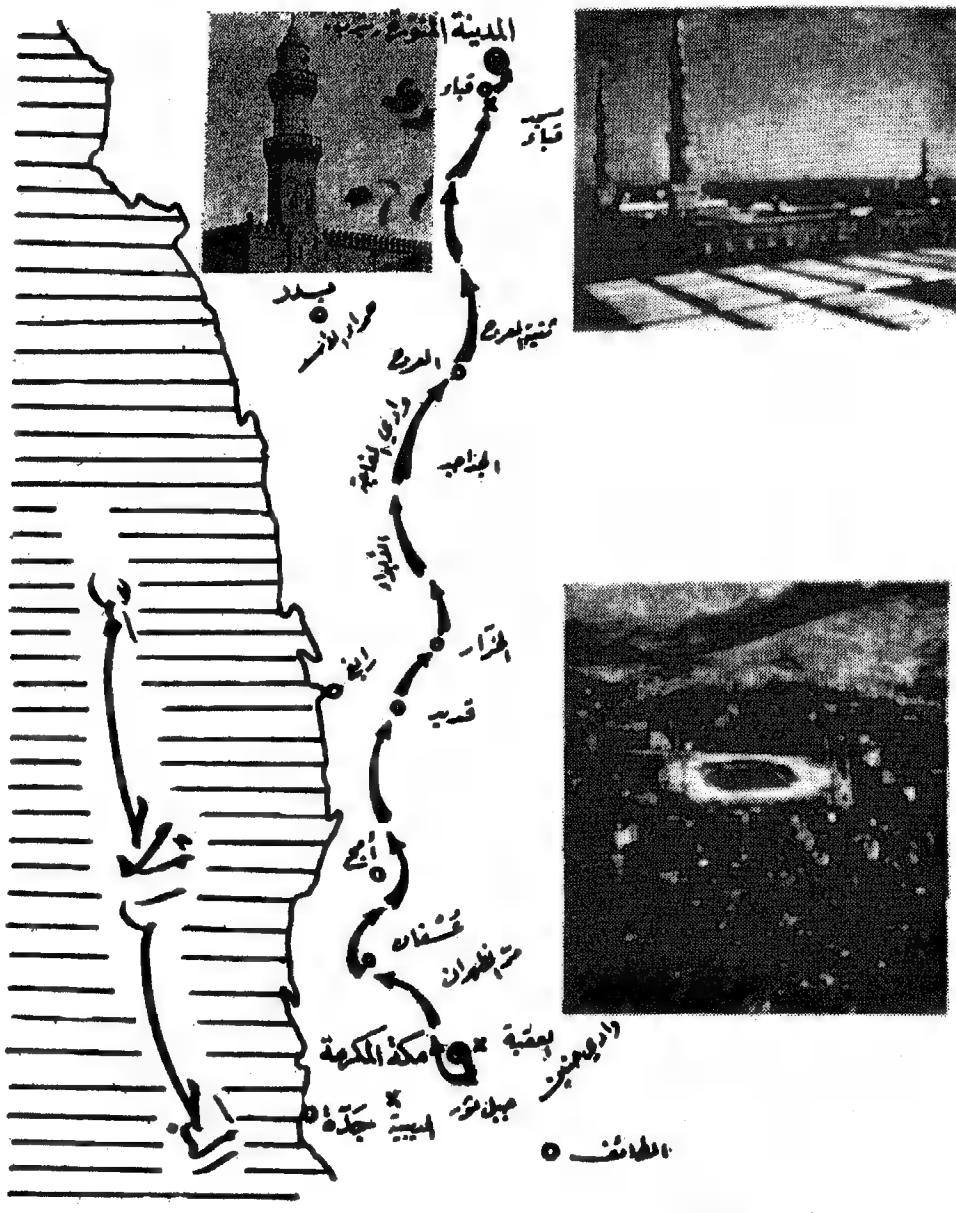
«إني لاخرج منك وإنني لأعلم أنك أحب بلاد الله الى الله وأكرمها على
الله تعالى ، ولو لا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت منك»^(١) . وقال ﷺ :
«اللهم إنا نعلم أنهم أخرجوني من أحب البلاد إلي» ، فأسكنني أحب
البلاد إليك» .

إنها كلمات وداع .. وكلمات دعاء يقطر حبًا وحنانًا إلى الوطن ، ويفيض
حسرة وأسى على فراقه ..

رَبِّيْضِي عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ وَبَعِنَاتِهِ

روى البخاري بسنده عن أبي بكر رضي الله عنه قال : أخذ علينا بالرّصد ،
فخرجنا ليلة ، فأحثثنا — أسرعنا — ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهرة ، ثم
رفعت لنا — ظهرت لنا — صخرة ، فأتيناها ولها شيء من الظل ، ففرشت
لرسول الله فروة معي ، ثم اضطجع عليها ﷺ ، فانطلقت أناقضش — أبحث
وأقصى — ما حولها ، فإذا أنا برابع قد أقبل في غنائم — غنم قليلة — يريد
من الصخرة مثل الذي أردنا . فسألته : من أنت يا غلام ؟ قال : أنا لغلان . فقلت
له : هل في غنمك من لبن ؟ قال : نعم ، قلت له : هل أنت حالبه ؟ قال : نعم ، فأخذ
شاة من غنيمه ، فقلت له : أناقض الشرع ، فحلب كتبة — قليلاً — من لبن ،
ومعي إداؤة «سقاء للماء» من ماء عليها خرقة قد ورأتها «شدتها بها
وربطتها عليها» لرسول الله ﷺ ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ، ثم أتيت
به النبي ﷺ فقلت : اشرب يا رسول الله ، فشرب ﷺ حتى رضيت ، ثم ارتاحنا
والطلب في أثرنا .

(١) عيون الأثر ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ، و «صور من حياة الرسول» ، ص ٢٤٦ ، ولذلك ، جاء في
فتح البلدان للبلاذري ، صفحة ٢٥ ، دعاء للنبي ﷺ يطلب فيه من الله عن وجل أن يحبب إليه المدينة :
«اللهم طيب لنا المدينة كما طيبيتنا مكة ، وبارك لنا في مدينا وصاعها» .



مُصَوْرُ الْمَهْجَرَةِ

وَاللَّهُمَّ لَهُ يَسِيرُ سَلَكَ الرَّسُولُ لَهُ عَظِيمُ سَرِيَّةُ الْمَكَرَةِ لَا تُعْلِمُهُ إِلَّا مُنْتَهٍ

سُرَاقة بْنُ مَالِكَ بْنُ جُعْشَمِ الْمَدْبُحِيِّ

جعلت قريش مائة ناقة لمن يرد النبي ﷺ عليهم ، وبينما سراقة بن مالك بن جعشن جالس في نادي قومه ، إذ أقبل رجل من القوم حتى وقف عليهم ، فقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفها ، إني لأraham محمدًا وأصحابه . فأو ما إليه سراقة بعينه أن اسكت ، وقال سراقة : إنما هم بنو فلان يتغون ضالة لهم ، قال الرجل : لعله ، ثم سكت .

يقول سراقة : ثم مكثت قليلاً ، ثم قمت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي ، فقيد لي إلى بطن الوادي ، وأمرت بسلاحي ، فأخرج لي من آخر حجرتي ، ثم أخذت قداحي التي استقسم بها ، ثم انطلقت ، فلبست درعي ، ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » و كنت أرجو أن أرده على قريش فأخذ مائة الناقة .

قال سراقة : فركبت على أثره ، فبينما فرسى يشتدى بي عشر بي ، فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » ، فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت في أثره ، فبينما فرسى يشتدى بي ، عشر بي ، فسقطت عنه ، فقلت : ما هذا ؟ ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » فأبيت إلا أن أتبعه فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم عشر بي فرسى ، فذهبت يداه في الأرض ، وسقطت عنه ، ثم اترع يديه من الأرض ، وتبعهما دخان كالاعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد متنع مني وأنه ظاهر ^(١) .

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه ^(٢) : فارتلنا القوم يطلبوننا ، فلم

(١) لقصة سراقة راجع السيرة النبوية ، ج : ١ ، ص : ٣٧٢ - ٣٧٥ ، والتكامل في التاريخ ، ج : ٢ ، ص : ٧٤ ، والبداية والنهاية ، ج : ٣ ، ص : ١٨٥ ، وابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ٩٦ ، والوفا باحوال المصطفى ، ج : ١ ، ص : ٢٤٠ ، وعيون الاشر ، ج : ٢ ، ص : ١٨٤ .

(٢) « أسد الثابة في معركة الصحابة » ، الجزء الثاني ، صفحة ٣٣١ وما بعدها ، طبعة دار الشعب ، وراجع أيضاً : التكامل في التاريخ ، الجزء الثاني ، الصفحة : ٧٤ ، طبعة عام ١٣٢٩ هـ .

يدركنا إلا سراقة بن مالك بن جعشن المدجبي ، على فرس له ، فقلت : يا رسول الله ، هذا الطلب قد لحقنا ، قال : لا تحزن ، إن الله معنا ، حتى إذا دنا منا قدر رمح أو رمحين ، قلت يارسول الله : هذا الطلب قد لحقنا ، وبكيت . قال : لم تبكي ؟ قال الصديق : والله ما أبكي على نفسي ، ولكنني أبكي عليك ، قال الصديق رضي الله عنه : فدعوا عليه فقال : اللهم اكتفنا بما شئت ، فاخت فرسه إلى بطنها في أرض صلد ، ووثب عنها ، وقال : يا محمد ، قد علمت أن هذا عملك ، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه . فوالله لا يغين عَلَى مَنْ وَرَأَى مِنَ الْمُطَلَّبِ ، فدعاه رسول الله ﷺ ، فأطلق ، وتكرر سقوطه عن فرسه ثلاث مرات^(١) . وفي الأخيرة قال له رسول الله : « كيف بك اذا لبست سواري كسرى ومنطقته وتاجه^(٢) » . قال سراقة : كسرى بن هرمز !! قال النبي : نعم . فقال سراقة : اكتب لي كتاباً يكون آية بيسي وبينك . . . لقد أدرك سراقة أن محمداًنبي ، ولا بد متصر ، فأراد طلب الأمان منه عند ظهوره .

فكتب له الصديق كتاباً على عَظَمٍ ، أو في رقعة . . . ثم ألقاه له ، فجعله في كناته ، وعرض على النبي ﷺ وعلى أبي بكر رضي الله عنه الزاد والمتابع ، فلم يقبل شيئاً منه وقالا : لا حاجة بنا إلى زادك وطعامك ، ولكن عَمَّ عنا الطلب ، فعاد سراقة لا يلقاه أحد يريد الطلب إلا قال : كثفتم ، ما ه هنا ، ولا يلقى أحداً إلا ردّه .

وأسلم سراقة بعد فراغ النبي ﷺ من حشين والطائف . . . ودخل في كتبة من خيل الأنصار باتجاه مكان رسول الله ، فجعلوا يقرعونه بالرماح ويقولون : إِلَيْكَ مَا ذَرَيْد ؟

قال سراقة : فدنوت من رسول الله ﷺ وهو على ناقته ، فرفعت يدي بالكتاب ، ثم قلت : يارسول الله ، هذا كتابك ، أنا سراقة بن جعشن . فقال رسول الله ﷺ : يوم وفاء وبر ، ادنه ، قال سراقة : فدنوت منه ، فأسلمت .

(١) راجع حامش رقم : ١ في الصفحة السابقة .

(٢) رواه ابن عيينة عن أبي موسى عن الحسن رضي الله عنه .

ولما أتت عمر رضي الله عنه غنائم المدائن والجبيحة الفارسية ، وإذا بها تاج
كسرى ومنطقته وسواراه ، فلما سراقة وألبسه اياهما ، وقال له عمر : ارفع يديك
وقل : الله أكبر ۰ ۰ الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز ، الذي كان يقول :
أنا رب الناس ، وألبسها سراقة رجلاً أعرابياً منبني مدحع ، ورفع عمر بها
صوته^(۱) ، تحقيقاً لوعده الله ، ووفاء بعهد رسول الله ﷺ ۰

لقد تحققت نبوة رسول الله ﷺ ، التي قالها وهو في أشد ساعات الحرث ،
عندما كان مطارداً مطلوباً من قومه ۰ ومن كان من العرب يتصور أن سراقة
العربي البدوي ، الذي لا يجول بخاطره أن تواليه لحظة في حياته ، يستطيع فيها
أن يقرب من أيوان كسرى ، يليس سواريه ومنطقته ، ولكن لم العجب ؟ إنه
الإسلام به عز العرب ، وإنه محمد بن عبد الله به سجل التاريخ فخرهم ومجدهم ۰

حدیث ام معبد

«معجزة أخرى لرسول الله ﷺ»^(۲) :

الركب يسير ، ويتحمّل المشاق ۰ وهو يعلم بأنَّ الله لن يجري لهم الأمور
إلا بخير ۰ وكلما أرهقهم السير نزلوا متزلاً فاستراحوا ، وتلمسوا من العيّ
المقيمين عند منزلهم بعض الطعام أو الشراب ، حتى مرّوا في طريقهم بأم معبد
الخزاعية^(۳) ، وهي أعرابية كريمة ، كانت تجلس أمام خيمتها مجلس الرجال ،
فقطّعُهم وتسقي من يمر بها من السيّارة ۰ فسألوها تمراً أو لحماً يشترون
منه ، فلم يصيروا عندها شيئاً ، وأبدت أسفها قائلة : والله لو كان عندنا شيء

(۱) «الكامن في التاريخ» ، ج : ۲ ، ص : ۱۲۲/۱۲۳ ۰

(۲) حديث أم معبد في «البداية والنهاية» ، ج : ۳ ، ص : ۱۹۰ ۰

(۳) واسمها : عاتكة بنت خالد بن منقذ بن ربيعة ، خزاعية كعيبة ، وأصبحت صحابية فيما بعد
بعد ما رأته من رسول الله ﷺ ، وفي شرح السنة للبغوي : هاجرت هي وزوجها وأسلم اخوهما أيضاً حبيش
واستشهد يوم الفتح ، وكان اهلها يؤذنون بيوم نزول الرجل المبارك ، «هامش السيرة العلية» ، ج : ۱ ،
ص : ۳۷۱ ۰

ما أعزكم القرى ، وما كنتم إذن بحاجة إلى أن تسألو شيئاً ، أو تدفعوا شيئاً ،
لقد كانت السنة مجدبة ، والبادية في قحط شديد .

فنظر رسول الله ﷺ في كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ،
قالت : هذه شاة خلّقها الجهد ، والضعف والاعياء ، عن الغنم ، فقال : هل بها
من لبن ؟ قالت : هي أجده من ذلك ، قال : أتاذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم .
إن رأيت بها حلبًا .

فدعى ﷺ بالشاة ، فمسح ضرعها ، وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها في
شاتها ، فستفاجئ(١) ودركت واجترحت ، فدعا يائاه يُرضي الرَّهْط(٢) ،
فحلب فيه شجاعاً(٣) حتى غلبه الشمال(٤) ، فسقاها — سقى أم معبد — فشربت
حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رَوَوْا ، وشرب ﷺ آخرهم وقال : ساقى
ال القوم آخرهم . ثم حلب فيه ثانية عَوْدًا على بَدْءٍ حتى امتلأ الإناء ، ثم غادره
عندما ، وبابيعها وارتحلوا عنها .

وما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً . فلما رأى اللبن
عجب وقال : من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازبة(٥) ولا حلوبة
في البيت ٤١٤

قالت : لا والله ! إلا أنه مرر علينا رجل مبارك ، كان من حديثه كيت وكيت .

قال : والله إني لأراه صاحب قريش الذي يتطلب ، صيفيه لي أم معبد .

قالت :

(١) فتحت مابين أرجلها وورت بالبن .

(٢) يشبع الجماعة .

(٣) لبنا غزيراء وبقيت تدر بنزارة حتى عام الرمادة أيام ثلاثة عمر رضي الله عنه .

(٤) الشال : الرغوة .

(٥) غانية عن البيت .

رأيت رجلاً ظاهراً الوضاءة، أباج الوجه^(١)، حسن الخلق، لم تعبه شحطة^(٢)،
ولم تزر به صعلة^(٣)، وسيماً قسيماً^(٤)، في عينيه دعج^(٥)، وفي اشفاره
وطف^(٦)، وفي عنقه سطع^(٧)، وفي صوته صحل^(٨)، وفي لحيته كثاثة، أزج
أقرن^(٩)، وإن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، فهو أجمل
الناس وأبهاه من بعيد، وأحسنهم وأجملهم من قريب، حلو المنطق، فصل
لا نزر ولا هزر^(١٠)، كأن منطقه خرزات نظم يتعدد^(١١) رون ربعة، لا يأس من طول،
ولا تقتسمه عين من قصر، غصن بين غصين، فهو أنضر ثلاثة منظراً، وأحسنهم
ندراً، له رفقاء يحفون به، وإن قال انصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره،
محفوظ محسود لا عابس ولا مفند.

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة،
ولقد همت بأن أصحبه، ولأ فعل إن وجدت إلى ذلك سبيلاً.
ومر^(١٢) بأم معبد فتيان قريش، فسألوها عن محمد، فتعاجمت عليهم، وقالت
لهم: إنكم تسألون عن شيء ماسمعت به قبل عامي هذا.

ذكاء أبو بكر الصديق

كان أبو بكر رضي الله عنه يكثر الأسفار للتجارة، فكان معروفاً عند سكان
الساحل حيث تمر القوافل، فكان إذا سأله أحد عن رفيقه في الطريق، يجيب
بقوله: هادِ يهدى السبيل، ولا يتكلم إلا ويوري في كلامه.

(١) أباج الوجه: مشرق الوجه.

(٢) الشحطة: عظم البطن والاسترخاء في أسفله.

(٣) لم يعبه صفر في الرأس، الصعلة: صفر الرأس.

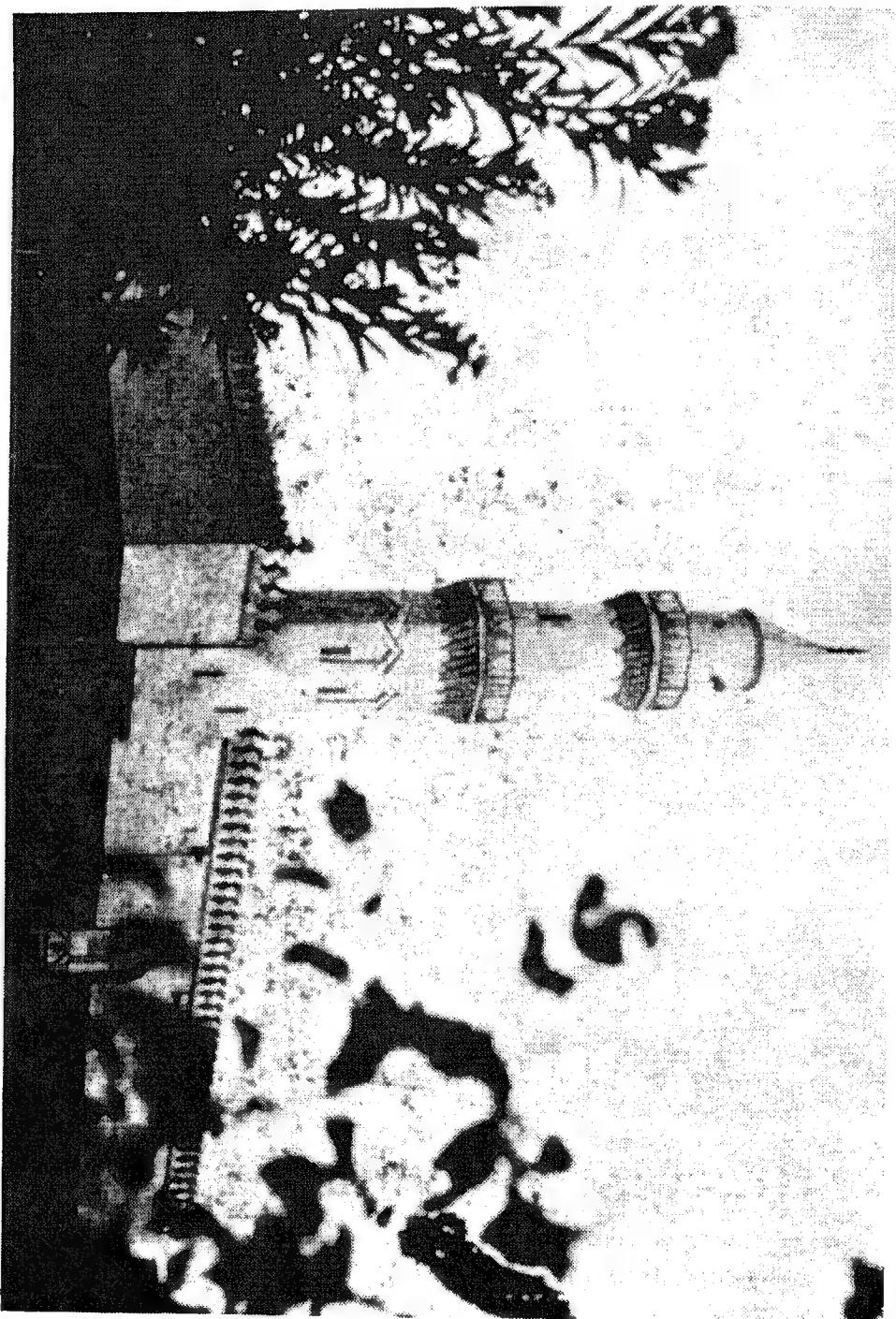
(٤) القسيم: الحسن.

(٥) الدعج: سواد العين، والوطف: كثير شعر العينين والعاجبين، والسطع: الطول، والصلح:
البرة.

(٦) أزج أقرن: دقة في العاجبين مع اقترانهما.

(٧) لا نزر ولا هزر: النزر القليل.

سجدت



وكان الرسول الأعظم يقول له : ألم الناس ، أي أشغل الناس عنِي ، أي تكفل عنِي بالجواب لمن يسأل عنِي ، فإنه لا ينبغي لنبي أن يكذب ولو صورة كالتورية .

فكان جواب الصديق الذهبي ينقد الموقف .

و قبل وصول الركب إلى المدينة رأى النبي ﷺ الزبير بن العوام في ركب من المسلمين ، في طريق عودتهم من تجارة لهم في الشام فكسا الزبير رسول الله وأبا بكر ثيابَ بياضَ .

الرَّكَبُ الْمَبَارَكُ فِي قَبَاءِ

وفي ١٢ ربيع الأول حين اشتد الضحاء ، وكادت الشمس تعتلد ، وصل الركب المبارك قباء^(١) ، وقدم علىبني عمرو بن عوف ، وكان الأنصار لما سمعوا بمخرج رسول الله ﷺ من مكة ، وانتظروا قدومه ، يخرجون إذا صلوا الصبح إلى ظاهر المدينة يتظرون رسول الله ﷺ ، فلا ييرحو حتى تغلبهم الشمس على الظلال ، فإذا لم يجدوا ظلاً دخلوا المدينة ، حتى إذا كان اليوم الذي قدم رسول الله ﷺ جلسوا كما كانوا يجلسون حتى إذا لم يبق ظل دخلوا بيوتهم .

فقدم رسول الله ﷺ ، فكان أول من رأه رجل من اليهود ، قد رأى ما كان يصنع المسلمون ، وأنهم يتظرون قدوم النبي عليهم ، فصرخ بأعلى صوته : [يابني قيلة^(٢) ، هذا جَدَّكم قد جاء] .

قال بعض الأنصار : فخرجنا إلى رسول الله ﷺ وهو في ظل نخلة ومعه أبو بكر رضي الله عنه في مثل سنته ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله ﷺ قبل

(١) وصل ﷺ في ١٢ ربيع الأول للسنة الرابعة عشرة منبعثة ، الموافق ١٨ من تووز ، يولية سنة ٦٦٢ للهـيلاد . يقول الكلبي : «خرج النبي ﷺ من المدار يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول ، ودخل المدينة يوم الجمعة لشتنى عشرة منه» .

(٢) قيلة : جَدَّةُ الأنصار ينسبون إليها . وجَدَّكم : سعدكم وحظكم . غنائمكم وعظمتكم .

ذلك ، وازدحم الناس على رسول الله ﷺ وما يعرفونه من أبي بكر رضي الله عنه ، حتى زال الظل عن رسول الله ﷺ ، فقام أبو بكر فأظلله بردائه ، فعرفناه عند ذلك . أقام النبي الكريم في قباء في بني عمرو بن عوف يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس ، وأسس مسجده ، وهو أول مسجد بُشِّي في الإسلام .

روى الطبراني عن الشَّمْوَس بنت النعمان ، قالت : نظرت إلى رسول الله ﷺ حين قدم فنزل وأسس المسجد — مسجد قباء — فرأيته يأخذ الحجر والصخرة حتى يُصْبِرَه الحجر ^(١) . فيأتي الرجل من أصحابه فيقول : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي تعطني أكفك ، فيقول : لا خذ مثله حتى أَسَّه .

ولما أراد النبي الكريم دخول المدينة ، فرح أهلها بقدومه ، وأضاء منها كل شيء . يقول أنس رضي الله عنه : شهدت يوم دخول رسول الله ﷺ المدينة ، فلم أرَ أحسن منه ولا أَضْوأ ^(٢) .

وفي البخاري عن البراء بن عازب قال : ما رأيت أهل المدينة فرحا بشيء فرحمهم برسول الله ﷺ .

لقد ازدانت المدينة ، ولبس الناس أحسن ملابسهم ، كأنهم في يوم عيد ، وصرخ الناس رجالهم ونساؤهم جاء رسول الله ، جاء رسول الله ، وجعل الإمام والجواري ينشدن وينغبن بالدفوف ، والجيشة تلعب بحربها فرحاً بقدومه ﷺ .

وجاء في الصَّحَّيْحَيْن ، وخرج الناس حين قدوم النبي وأبي بكر في طريق المدينة ، وعلى سطوح بيوتها ، والغلمان والخدم يقولون : الله أكبر ، جاء رسول الله ، الله أكبر . وجعلت النساء والصبيان والولائِد يَقْتَلُنْ :

(١) المراد ضخامة الحجر وكانت تغاليه وتتجذبه اليه من ثقله .

(٢) عيون الأثر ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .

من ثنيات الوداع	طلع البدار علينا
ما دعا الله داع	وجب الشكر علينا
جئت بالأمر المطاع	أيها المبعوث فينا
مرحباً يا خير داع	جئت شرّفت المدينة

ودخل النبي ﷺ المدينة وال المسلمين يحيطون به مشاة وركباناً ، وقد تلقّدوا سيفهم ، وتحلّوا بأحسن ملابسهم ، وعلا وجوههم الزهو والبشر والابتهاج بمقدم رسول الله ﷺ ، وقد بلغ من حرصهم على كرامة رسول الله وتعظيمه ، أن كانوا يتراحمون على زمام ناقته ، حتى ينazu أحدهم صاحبه في الوصول إليه والتبرّك به^(١) .

واعتراضه القبائل لينزل عندها^(٢) ، فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة في رجال منبني سالم بن عوف ، وقد أمسكوا بناقته ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدّ والعدّة والمنعة ؛ قال ﷺ : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت الناقة حتى إذا مررت بداربني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو في رجال منبني ساعدة ، فقالوا وقد اعترضوا الناقة : يا رسول الله ، هَلْمَ إلينا إلى العدد والعدّة والمنعة ؛ قال ﷺ : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا حلّت دياربني الحارث بن الخزرج ، فقالوا : يا رسول الله ، هَلْمَ إلينا إلى العدد والعدّة والمنعة ؛ قال :

(١) صور من حياة الرسول ، ص : ٢٥٣ / ٢٥٢ .

(٢) وهذا ما كان من بريةة الاسلامي ايضاً ، لما ركب في سبعين فارساً من أهل بيته منبني سهم بريدة النبي لأخذ الجائزه من قريش . ولقي النبي ﷺ قبيل دخوله قباء ، فقال رسول الله ﷺ أنه لا ينتظير وكان يتغافل - وقال : يا أبا بكر برد أمرنا وصلح ، ثم قال : من أنت ؟ قال : من أسلم . قال رسول الله ﷺ لابي بكر : سلمتنا . قال : من ؟ قال : منبني سهم ، قال : خرج سهمك يا أبا بكر ، فقال بريدة : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسول الله . قال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد عبد رسوله ، فاستلم بريدة وأسلم من كان معه جميعاً . فلما أصبح قال للنبي ﷺ : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء ، فعل النبي ﷺ عصامته ثم شدّها في رمح ، ثم مسّ بين يديه ، فقال بريدة : يانبي الله تنزل على ، فقال النبي الكريم : إن ناقتى هذه مأمورة . فقال بريدة : الحمد لله الذي أسلمت بني سهم طائرين غير متكررين . (الوفا باحوال المصطفى لابن الجوزي ، ج : ١ ، ص : ٢٤٧)

خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا حلّت ديار
بني عدي بن النجار ، فإذا بفتياهم ونسائهم وأطفالهم ينشدون :

نحن جوارٍ من بني النجار وحباً محمدًا منْ جارٍ^(١)

واعتراض الناقة سليمان بن قيس وأبو سليمان في رجال من بني عدي بن النجار ،
فقالوا : يا رسول الله هَلْثُمَ إِلَى أَخْوَالِكَ — أُمُّ النَّبِيِّ مِنْ بَنِي النَّجَارَ — إِلَى
الْعَدْدِ وَالْعَدْدِ وَالْمَنْعَةِ ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلوا سبيلها ،
فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت في مكان يجفف فيه التمر
« مرbd » ، وهو لغامين يتيمين من بني النجار ، وهما في حجر معاذ بن عفرا ،
وهما سهل وسميل ابني عمرو ، فنزل عنها رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ فاحتمل أبو أيوب
الأنصاري — خالد بن زيد — رَحْلَهُ فوضعه في بيته^(٢) ، ونزل عليه رسول الله
عَلَيْهِ السَّلَامُ وسائل عن المرbd لمن هذا ؟ فقال له معاذ بن عفرا : هو يا رسول الله لسهل
وسهل ابني رافع بن عمرو بن أبي عمرو ، وهو يتيمان لي ، وسأرضيهما منه ،
فاتخذه النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ مسجداً ، ونزل على أبي أيوب حتى ثني مَسْجِدُه
ومساكه ، فعمل فيه رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ ليرغب المسلمين في العمل فيه ، فعمل فيه
المهاجرون والأنصار ، ودأبوا فيه فقال قائل من المسلمين :

هذا الحِمَالُ لَا حِمَالٌ خَيْرٌ . هَذَا أَبْرَاثُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ .
اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الْآخِرَةِ فَارْحِمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ^(٣)

وارتجز المسلمون أيضاً :

لَا عِيشَ إِلَّا عِيشُ الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ ارْحِمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

(١) الوفا بأحوال المصطفى ، ج : ١ ، ص : ٢٥٢ . وكان يحببن : « الله يعلم أنني أحبكني » .

(٢) دور المدينة المنورة تبلغ تسعماً : كل دار محلية مستقلة بمساكنها وتخليها وزرعها وأهلها وكل قبيلة من قبائلهم قد اجتمعوا في محلتهم ، فهي كالقرى المتلاصقة .

(٣) الوفا بأحوال المصطفى ، ج : ١ ، ص : ٢٥٤ .

فيفقول رسول الله ﷺ : لا عيش إلا عيش الآخرة ، اللهم ارحم المهاجرين
والأنصار .

وارتجز علي كرم الله وجهه^(١) يومئذ :

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيه قائماً وقاعدا

بِنَاءَ مَسْجِدٍ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بني مسجد رسول الله ﷺ ، سقفه من جريد ، وقبلته من اللتين ، أو من
الحجارة المنضودة بعضها على بعض ، وأعمدته من جذوع النخل ، إذا رفع أحدهم
يده طال سقفه .

فِي بَيْتِ أَبِي أَيُوبِ الْأَنْصَارِيِّ

يقول أبو أيوب الأنصاري : لما نزل عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيتي نزل في
السفل - في الطابق الأرضي - وأنا وأم أيوب في العلو - في الطابق العلوي -
فقلت له : يابني الله يأبى أنت وأمي ، إني لا كره وأعظام أن أكون فوقك وتكون
تحتي ، فاظهر أنت فكن في العلو ، وتنزل عنه فنكرون في السفل ، فقال : « يا أبا
أيوب إن أرْفَقْ بنا وبمن يغشانا أن تكون في سفل البيت » ، فالطابق الأرضي
أيسر لزوار النبي لقربه من باب البيت ، والحادثة كلها تدل على الأدب الكامل ،
الأدب الناتج عن الحب والاحترام لرسول الله ﷺ ، « ومن يعظم شعائر الله فإنها
من تقوى القلوب » .

(١) أقام على رضي الله عنه بسكة ثلاثة أيام ، حتى أدى عن رسول الله ﷺ الامانات التي
كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها خرج من مكة ماشيا يسير بالليل ويختفي بالنهار ، حتى تورمت
قدماه ، فلما رأه ﷺ اعتنقه وبكي رحمة لما يقدميه من الورم ، ثم أمره عليهما يده الشريفة ، فشفقناها باذن
الله ، فلم يشتك منها بعد ذلك ، وتزل مع رسول الله ﷺ .

ويقول أبو أیوب الأنباري ، فكان رسول الله ﷺ في أسفل البيت ، وكنا فوقه في المسكن ، ويقول : انكسر حبّ — جرة ضخمة — لنا فيه ماء ، فقمت أنا وأم أیوب بقطفية لنا مالنا لحاف غيرها ، نكشف بها الماء تخرّفاً أن يقطر على رسول الله ﷺ منه شيء فيؤذيه ٠

وقال : وكنا نضع له العشاء ، ثم نبعث إليه ، فإذا رد علينا فضله تيمّت أنا وأم أیوب موضع يده فأكلنا منه ، نبتغي بذلك البركة ، حتى بعثنا إليه ليلةعشاءه ، وقد جعلنا له بصلًا وثوماً ، فرداً رسول الله ﷺ ، ولم أرَ يده فيه أثراً ، قال أبو أیوب : فجئته فرعاً ، فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي « رددت عشاءك » ، ولم أرَ فيه موضع يدك ، وكنت إذا رددته علينا تيمّت أنا وأم أیوب موضع يدك ، نبتغي بذلك البركة ، قال ﷺ : إني وجدت فيه ريح هذه الشجرة ، وأنا رجل أناجي ، فاما أنتم فكلوه ، فأكلناه ، ولم نصنع له تلك الشجرة بعد^(۱) ٠

أول خطبة لرسول الله ﷺ في المدينة

ومن أول خطب رسول الله ﷺ : حمد الله وأثنى عليه بما هو أهل ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فقد موال النفسكم ، تعلمون والله ليصعن أحدكم ١ ثم ليدع عن غنه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربها وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأنك رسولي فبلغتك ، وآتيتك مالاً وأفضلت عليك ؟ فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يميناً وشمالاً فلا يرى شيئاً ، ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشقّ من تمرة فليفعل ، وهو لم يجد بكلمة طيبة ، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(۲) ٠

(۱) ابن هشام ، ج : ۲ ، ص : ۱۰۴ . والبداية والنهاية ، ج : ۳ ، ص : ۲۰۱ .

(۲) ابن هشام ، ج : ۲ ، ص : ۱۰۵ .

ثم خطب ﷺ مرة أخرى فقال : إن الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن أحسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى ، قد أفلح من زينه الله في قلبه ، وأدخله في الإسلام بعد الذكر ، واختاره على مساواه من أحاديث الناس ، إنه أحسن الحديث وأبلغه ، أحبوا ما أحب الله ، أحبوا الله من كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقنس عنه قلوبكم ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي ، وقد سماه الله خيرته من الأعمال ومصطفاه من العباد ، والصالح من الحديث ، ومن كل ما أوتي الناس الحلال والحرام ، فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، واتقوه حق تقاته ، واصدقوا الله صالح ما تقولون بأفواهكم ، وتحابشوا بروح الله بينكم إن الله يغضب أن ينكسر عهده ، والسلام عليكم •

الرسول ﷺ يوادع اليهود

وكتب رسول الله ﷺ كتاباً بين المهاجرين والأنصار « وادع فيه اليهود وعاهدهم ، وأقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم^(١) : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي ﷺ ، بين المؤمنين وال المسلمين من قريش ويشرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم » وجاءه معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربّعهم يتعاقلون بينهم ، وهم يغدون عانיהם — أسيرهم — بالمعروف والقسط بين المؤمنين » وبنو عوف على ربّعهم يتعاقلون معاقلهم — الديئات — الأولى ، وكل طائفة منهم تقدّي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين » وبنو الحارث على ربّعهم يتعاقلون معاقلهم

(١) وفي هذه الآيات أرسل عليه السلام زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة واعطاهم خمسة درهم وبعيرين، فقدموا بفاطمة وأم كلثوم ابنته ، وسودة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر فيهم عائشة .

الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وإن المؤمن لا يتركون مفرحاً^(١) بینهم أن يعطوا بالمعروف في فداء أو عقل .

وأن لا يخالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بني منهم ، أو ابتغى دسيعة^(٢) ظلم ، أو إثم ، أو عداوان ، أو فساد بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليه جمياً ، ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وإنه من تبعنا من يهدى فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ، وإن سليم المؤمنين واحدة ، لا يسامح مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غرت علينا يعقب بعضها بعضاً ، وإن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما ثال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وإنه لا يجير مشركاً^(٣) مالاً لقريش ولا نفساً ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط^(٤) مؤمناً قتلاً عن بيته فإنه قود به إلا أن يرضيولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر محدثاً^(٥) ولا يؤويه ، وأنه من نصره

(١) المفرح : المثقل بالدين والكثير العيال .

(٢) الدسيعة : العظيمة .

(٣) لعله يقصد من دخلوا في الحلف من مشركي المدينة .

(٤) اعتبط : قتل بلا جنابة .

(٥) المحدث : الذي يعني جنابة .

أو آواه ، فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيمة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ،
 وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مردّه إلى الله عز وجل ، والى محمد ﷺ ،
 وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهودبني عوف أمة مع
 المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم : موالיהם وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ،
 فإنه لا يوتن^(١) إلا نفسه ، وأهل بيته ، وإن ليهودبني النجار مثل ماليهود
 بني عوف ، وإن ليهودبني العارث مثل ماليهودبني عوف ، وإن ليهود
 بني ساعدة مثل ماليهودبني عوف ، وإن ليهودبني جسم مثل ماليهودبني عوف ،
 وإن ليهودبني الأوس مثل ماليهودبني عوف ، وإن ليهودبني ثعلبة مثل ماليهود
 بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتن إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن
 من ثعلبة كأنفسهم : وإن بطانة يهود كأنفسهم ، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن
 محمد ﷺ ، وإنه لا ينحجز على ثار جرح ، وإنه من فتك نفسه فتك ، وأهل
 بيته ، إلا من ظلم ، وإن الله على أبر هذه^(٢) وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى
 المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم
 النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وإن لم يأثم امرؤ بحليفه ، وإن النصر
 للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يشرب حرام
 جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن العjar كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار
 حرمة إلا بإذن أهلها ، وإن ما كان بيد أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار
 يخاف قсадه ، فإن مردّه إلى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله
 على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ،
 وإن بينهم النصر على من دهم يترى ، وإذا دعوا إلى صلح يصالحوه ويلبسونه ،
 فإنهم يصالحوه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين ،
 إلا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وإن

(١) يوتن : يهلك .

(٢) أي على الرضا به .

يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما أهل هذه الصحيفة ، مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة .

وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أثم . وإن الله جار لمن برأ واتقى ، ومحمد رسول الله عليه صلواته ^(١) .

وإن الناظر إلى هذا الحلف ليرى أن الرسول عليه صلواته ^(٢) :

١ - استطاع أن يوحد بين جميع المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم ، وأن يجعل منهم أمة واحدة أكفر بالإسلام بين قلوب أفرادها المتابعة .

٢ - أوجد التعاون والتضامن بين أفراد تلك الجماعة ، على أساس أن الأخوة في الدين مقدمة على غيرها من الصلات حتى على صلة القرابة .

٣ - شرط لجماعة اليهود المساواة مع المسلمين في المصلحة العامة ، وفتح الطريق للراغبين في الإسلام ، وكفل لهم التمتع بما للMuslimين من حقوق ^(٣) .

٤ - استطاع رسول الله عليه صلواته أن يجعل نفسه الشريفة في المدينة المنورة على رأس جماعة من أتباعه كبيرة العدد آخذة في النمو ، يتطلعون إليه زعيماً وقائداً ، ولا يترفون بسلطان غير سلطانه ، دون إثارة أي شعور من القلق أو خوف التعدي على السلطة المعترف بها .

وهكذا باشر رسول الله عليه صلواته سلطة زمنية كالتى كان يمكن أن يباشرها أي زعيم آخر مستقل ، مع فارق واحد ، هو أن الرباط الديني بين المسلمين يقوم مقام الأسرة والدم .

(١) النص من ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ١٠٦ / ١٠٧ / ١٠٨ .

(٢) تاريخ الإسلام ، ج : ١ ، ص : ١٠٢ / ١٠٣ . بتصريف .

(٣) كتب الرسول عليه صلواته هذا الكتاب قبل أن تفرض الجزية ، وإذ كلف الإسلام ضريبة ، وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المفtem اذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم في هذا الكتاب التلفقة معهم في العروج .
هامش ص : ١٠٨ ، من سيرة ابن هشام ج : ١٠٨ .

المَوَاحَادُ بَيْنَ الْمَهَاجِرِ وَالْأَنْصَارِ

أخي رسول الله ﷺ بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : « وأولوا الأرحام بعضهم أولي بعض في كتاب الله » أي في الميراث ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة فقال سبحانه : « إنما المؤمنون إخوة » ، يعني في التواد وشمول الدعوة .

أخي رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : تآخوا في الله أخرين أخرين ، ثم أخذ ييد علي بن أبي طالب فقال : هذا أخي ، وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة أخرين ، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه وخارجة بن زهير أخو بلحارث بن الخزرج أخرين ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعيّان ابن مالك أخوبني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخرين ، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح وسعد بن معاذ بن النعمان أخوبني عبد الأشهل أخرين ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع أخرين^(١) ٠٠٠

وقبل الحديث عن تائج الهجرة ، نعرض الملاحظات التالية :

١ - عندما خرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً ، كان من المفروض أن يتوجه شمالاً باتجاه المدينة حيث سبقه أصحابه ، وهذا ما متوقعه قريش ، فلا يتعقل أن يهاجر الصحابة إلى المدينة ، ثم يهاجر رسول الله إلى جهة أخرى غيرها .

ولكن النبي ﷺ سار بعكس اتجاه المدينة !!

وهذا تمويه مابعده تمويه ، حتى الدليل سار بغير الطريق المأثور إلى المدينة بعد خروج الركب المبارك من غار ثور ، لقد سار منحدراً إلى الجنوب

(١) راجع سيرة ابن هشام ، ج : ٢ ، ص : ١١١/١١٠/١٠٩ للاطلاع على أسماء التائني كلها .

أَسْفَلْ مَكَةَ مُولِيَاً وَجْهَهُ نَحْوَ اليمَنِ ، ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى تَهَامَةَ وَمَنْ بَعْدَهَا عَلَى شَوَاطِئِ
البَحْرِ الْأَحْمَرِ نَحْوَ الشَّمَالِ • وَالدَّلِيلُ — عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَرْقَطٍ — يَرْتَجِزُ ، وَيَعْلَمُ عَنْ
نَفْسِهِ فِي السَّيِّرِ نُوعاً مِنَ التَّضْلِيلِ ، فَالْهَارِبُ لَا يَعْلَمُ عَنْ نَفْسِهِ •
كُلُّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى تَحْكِيمِ الْعُقْلِ ، وَالْعَمَلُ بِالْأَسْبَابِ ، وَالبَاقِي عَلَى مُسْبِبِ
الْأَسْبَابِ •

٢ — دَخَلَ النَّبِيُّ شَيْرَبَ فَتَنَوَّرَتْ ، وَضَارَ اسْمَهَا مِنْذَ وَصْلَ النَّبِيِّ ﷺ
(المَدِينَةِ) أَيْ مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ، «الْمَنْوَرَةَ»^(١) ، بِرَسُولِ اللَّهِ ، بِعِلْمِهِ ، بِرُوحِهِ ،
يَتَزَكَّيْتُهُ ، بِبَرَكَتِهِ فِيهَا ، بِحَلْوِ شَخْصِهِ الْكَرِيمِ بِهَا ٠٠
لَقَدْ قَالَتْ المَدِينَةُ عَنْدَ قَدْوَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

٠٠ مِنْ ثَنَيَاتِ الْوَدَاعِ طَلَعَ الْبَسْدَرُ عَلَيْنَا

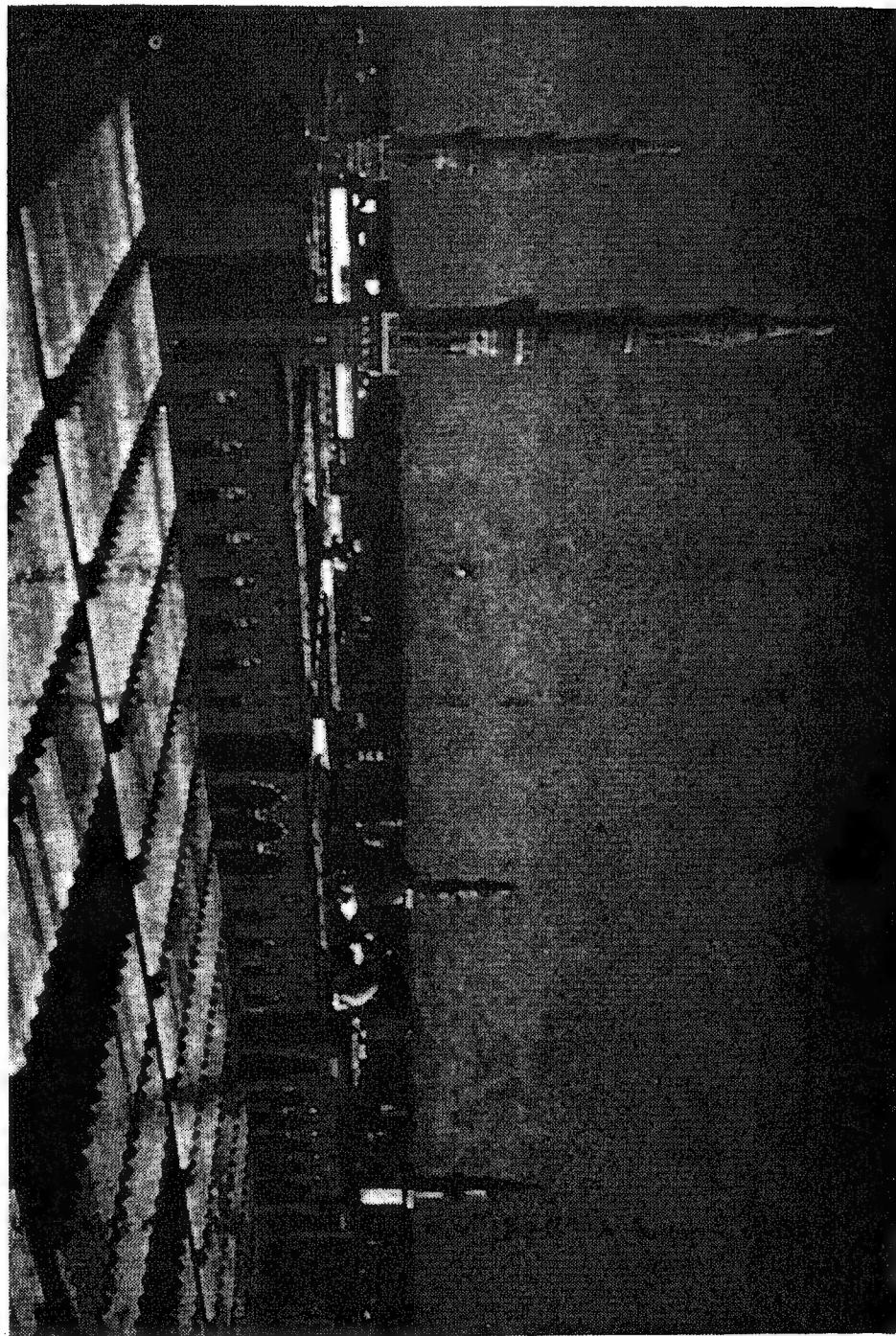
وَهُذَا نَشِيدُ الْأَمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ إِلَى الأَبَدِ ، وَيَا عَرَبَ ٠٠ طَلَعَ عَلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ
بِدْرًا مُشْرِقًا فِي سَمَاءِ مَظْلَمَةِ مِنَ الْعَادَاتِ وَالْغَرَافَاتِ ٠٠ فَوْجَبَ الشَّكْرُ عَلَيْكُمْ ٠٠
فَهُوَ الَّذِي سَطَرَ لَكُمْ فَتْوَاهَاتِكُمْ ، وَكَتَبَ لَكُمْ فِي تَارِيْخِكُمْ مَفَاخِرَكُمْ ، وَسَجَلَ
أَجْمَلَ صَفَحَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمِبَادِيِّهِ تَحْمِلُ الْإِخْرَاءَ وَالْمَسَاوَةَ وَالْعَدْلَ وَالْمَحْبَّةَ ٠٠
فَمَتَّى نَقُولُ لِرُوحِهِ الشَّرِيفَةِ وَبَعْدَ طَوْلِ اعْرَاضِهِ : أَيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِيْنَا جَتَّ بِالْأَمْرِ
الْمَطَاعِ ٤١٩ لِتَعُودُوا إِلَى عَزَّكُمْ وَمَجْدِكُمْ وَوَحْدَتِكُمْ ٤١٩

٣ — مِنْ مَعْنَا وَصَفَ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مَسْجِدَ مَتَوَاضِعِهِ ، سَقْفُهُ مِنْ
جَرِيدَ النَّخْلِ ، وَمَحْرَابُهُ مِنْ لَبَّيْنِهِ وَطِينٌ ، وَأَعْمَدَهُ مِنْ جَذْوَعِ النَّخْلِ ، إِذَا رَفَعَ
أَحَدُهُمْ يَدَهُ طَالَ سَقْفُهُ ٠٠

مِنْ هَذَا الْمَسْجِدِ الْمَتَوَاضِعِ الْبَنَاءُ تَخْرُجُ أَبُو بَكْرَ وَعُمَرَ ، وَخَالَدَ وَسَعْدَ ،

(١) ذَكَرَ يَاقُوتُ الْحَوَّيِّ تِسْعَةً وَعَشْرِينَ اسْمًا لَهَا ، مِنْهَا : الْمَدِينَةُ ، وَطَبِيعَةُ «لَطِيفَ مَوَانِهَا» ، الْمُحِبَّةُ ،
وَالْمَحْبُوبَةُ ، وَيَشْرَبُ ، وَالنَّاجِيَةُ ، وَالْمَبَارَكَةُ ، وَالْعَاصِيَةُ ، وَالشَّافِيَةُ ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



وأبو عبيدة والنعمان ٠٠٠ من هذا المسجد تخرج فاتحو العالم ، الذين نشروا
الإنسانية والإخاء حيثما حلوا ٠

فليس المسجد في بنائه الضخم ، ولا في زخرفته الرائعة ٠ بل في رجْلِهِ
الذي يحيي القلوب ، ويبعث الهمم ، ويفجر الطاقات ٠

واليوم ٠٠ عمارَة المسجد عمل طيب ، ولكن العمل على إيجاد العالم المنتج
فيه أمر مهم جداً ، فالعالم المنتج المربى أينما وُجِدَ – ولو بخيمة في زاوية
مهملة – أوجَدَ حوله التعليم والتربية والدعوة المطاءة ٠٠ مما أحوج المسلمين
اليوم لبناء العالم مع بناء المسجد ، ليحقق البناء الهدف الأبعد الذي بني
من أجله ٠



نتائج الهجرة

* كانت الهجرة النبوية العبر الأساس في ارساء قواعد الاسلام ، وانتصار دعوة التوحيد ، لذا كانت جديرة بان يتتخذها الصحابة الكرام مبدأ التاريخ لهذه الامة الاسلامية .

لقد كان من اعظم عبّر و دروس المجرء ، أنه مهما أُوتى الحق وأصحاب الحقوق من قوة الحجج على صدق مبادئهم مما ينحصر في دائرة القوة المعنوية ، فإن ذلك وحده لا يكفي لأنتصار حقهم ، إذا ما تسلح خصومهم بالقوة المادية ، وحصلوا من أسبابها على ما يتقوّون به على أهل الرشاد .

هاجر النبي ﷺ الى المدينة ، وخطط لاستراتيجية عسكرية واقتصادية وسياسية ، ووطّد العزم ، على أن يأخذ بكل ما يمكن من سبيه ، وبكل ما يستطيع من عمل يسير به خطوة نحو قهر أعدائه وأعداء دعوته والانتصار عليهم ، وثبتت دعائم الحق وأركان الدولة العربية الإسلامية .

ولم يكن أمراً عارضاً ولا مصادفة محضة ، ولا مجرد خاطر ، أن يختار رسول الله ﷺ المدينة المنورة داراً لهجرته ، وملجاً لدعوته ، ومقرًا لدولته .
وحاشى أن تكون الهجرة فرّأاً من أعدائه ، أو خوفاً على نفسه وطلباً لشيء آخر غير نصر الله .

وحقيقة إن الهجرة تمت سراً ، والسرية فيها لم تكن هروباً من المشركين ، ولكن زيادة في ضرب الغشاوة على أبصارهم « فأغشيناهم فهم لا يصرون » ، واثباتاً لهم أن محمداً رسول مكلف برسالة من عند الله ، ولكن الحقد طمس قلوبهم ، فلم يروا النور الذي عم الجزيرة » ولو فكّروا قليلاً لعلموا حقيقة ما يجهلون » .

لقد كانت الهجرة إلى المدينة لأهمية موقعها من الناحيتين العسكرية والاقتصادية ، ففي شمال الجزيرة العربية أكبر دولتين عظيمتين في العالم حينذاك ، هما دولة الفرس والروم » وكان في مكة معقل الشرك ومركز المقاومة للإسلام على يد كفار قريش » فلو أن رسول الله ﷺ هاجر إلى اليمن في جنوب الجزيرة أو إلى شرقها ، لاعطى الفرصة لكل القوى المناوئة له أن تلتئم وأن تتماسك في جهة متحدة فيتعارض مواجهتها ومن ورائه المحيط ، الذي لا يسمح لكافحه ولجيشه بحرية الحركة ، وفنية المناورة » .

ولكنه في المدينة يستطيع أن يكون ذا موقع متوسط بين أعدائه في شمال الجزيرة ، وبين أعدائه في مكة ، فلا يسمح بلقاء بينهما ، كما أنه يستطيع من هذا الموقع نفسه محاصرة قريش اقتصادياً وتهديد تجاراتها إلى الشام ، التي كانت تمثل أكثر من سبعين في المائة من ثروتها^(١) .

فمن نتائج الهجرة :

١ - تجمّع المسلمين في موطن واحد يسكنهم من الدفاع عن أنفسهم ، والدعوة إلى دينهم والجهر بما لم يكونوا يستطيعون الجهر به ، فما كادت تمر سنة على حدث الهجرة حتى وجد المشركون أنفسهم أمام قوة إسلامية تقاتلهم على

(١) من مقال للدكتور محمد بيصار ، في الوعي ١٠٩ غرة المحرم ١٣٩٤ هـ .

كلمة الله ، ومقاومة التجبر والطاغوت ، وتنتصف منهم وهي قلة قليلة فينهم مون
متخفين وهم كثرة كثيرة .

إنها قوة التجمّع والتكتشل ، تساندتها العقيدة الصادقة ، والإيمان الراسخ ،
فتُفعَل الأعاجيب وتصنَع المعجزات ، ولو بقي المسلمون متفرقين موزعين ما بين
مكة والمدينة ، لما استطاعوا أن يفْعِلُوا شيئاً ، وإن كان الله قادرًا على نصرة نبيه ،
واعلاء كلامه ، ولكنَّه عز وجل ، لم يشرع الشرائع ، وينزل الأديان بما يخالف
سنته في الكون وأحكامه في الخلق ، من تعاطي الأسباب ، واتخاذ الوسائل .

٣ - دبَّت حركة جديدة في المجتمع الإسلامي في المدينة ، ترتب عليها
نتائج ملموسة وهي التي دفعت بهم بعد ذلك إلى فتح البلاد واحتضانها لحكم
الإسلام وعدالته وانسانيته .

فلم تمر على قيام الدعوة الإسلامية ثلاثة عقود حتى دخلت في طاعتِها جميع
الأقطار التي تكونَ إمبراطوريَّة فارس والروم ، ولم يكتمل القرن الأول حتى
شمل نفوذها ما بين الصين شرقاً وأسبانياً غرباً^(١) .

لقد كانت الهجرة هي المنطلق لهذا العمل الجبار . فالهجرة هي المنطلق
العلمي ، وال موقف الحاسم في تاريخ الإسلام ، وكل ما تحقق بعدها من منجزات ،
وتتابع من نجاحات فهو محسوب عليها ، وراجع إليها ، كما أشرنا في المقدمة .

٤ - تفرَّغ النبي لبناء الدولة « ففي مكة بنى الفرد ، وفي المدينة بنى
الدولة » :

بني عليهما الفرد المسلم خلال ثلاث عشرة سنة في مكة ، وفي المدينة وخلال
عشر سنوات بنى دولة متaramية الأطراف شملت الجزيرة العربية كلها ، ورسمت
بدء الفتح على الجمَيَّتين الفارسية والرومية . فالملاحظ أن بناء الفرد استغرق

(١) الشیخ عبد الله کتون ، ص : ٢٦ ، الوعی .. العدد ١٢١ ، غرم المحرم ١٣٩٥ هـ .

ـ ومنهاً أكبر من زمن بناء الدولة ، وهذا أمر طبيعي فبناء الفرد هو القاعدة الأساسية في تأسيس وبناء الدولة .

وفي المدينة المنورة أنشأ رسول الله ﷺ « دولة الإسلام » على أسسٍ راسخة ، مم تهيئة الظروف لبقاءها واستمرارها .

وكان أول عمل قام به رسول الله ﷺ عند وصوله إلى المدينة ، بناء المسجد ، وهذا دليل جليّ واضح على أهمية المسجد في تاريخ الإسلام ، لقد كان « بربان » الأمة ، فيه عقدت الرaiات المظفرة لليمونك والقادسية ونهاؤنده . ومنه تخرج خادة هذه الرaiات المظفرة ، فهو مدرسة أخلاق وعلوم وتربيه وبطولة . وليس الفضل لجدرانه وسقفه . الفضل لرجله الذي يصنع الرجال فيه ، يصنع أخلاقهم ويربيهم ويغرس في أرواحهم عشق البطولة ، والتفاني في الالتزام في المبدأ والاستشهاد في سبيله .

وفي المدينة المنورة أخذ رسول الله ﷺ يرتب شؤونه وشئون أصحابه وينسى المجتمع المثالي الفاضل على قواعد من الحب والإخاء والعدل والمساواة والتكافل والتعاون والتضحية والإيثار • وهي المبادئ التي وضعها الإسلام للمجتمع الصالح ليعيش الناس في كل زمان ومكان إخوة متعاونين يسودهم الوئام ، ويظلّمهم الأمان والسلام •

وهذا المجتمع المثالي الفاضل كان في المدينة شعباً لدولة ذات سيادة متميزة عن قريش وعن اليهود ، مجتمع مثالي كان الإيمان فيه فوق كل نسب ، وفوق كل عصبية أو قبالية ، مجتمع متميز نسب الإسلام فيه فوق كل نسب .

— حرية الدعوة الى الله « ضمن مجتمع جديد في كل شيء » :

هاجر المسلمون من مكة بسبب اشتداد العذاب عليهم ، وبسبب كبراءة
قرיש وتعاليها .. وفي دار المиграة بدأ عهد الأمان والاستقرار ، فأخذ النبي ﷺ
يضم قواعد المجتمع الصالح . اتى عهد الاضطراب والخوف ليبدأ عهد

الاستقرار والأمن في المدينة ، وبذلك بدأت حرية الدعوة إلى الله بعد الخلاص من عذاب قريش وأذاها • ولما حاولت الوقف في وجهها كانت القوة الرادعة ، لقد وقف النبي وال المسلمين في وجه الكفر بالقوة بعد أن عجز الدليل والبرهان •

لقد أراد عليه السلام حياة فاضلة كريمة مثالية أساسها التأكيد ، ومظاهرها التراحم ، وغايتها السلام ، وعلى هذا نظم الصلات التي تحيط بالمسلم من جميع جوانبه ، وهي صلة المسلم بالله ، وصلة المسلم بالMuslim ، وصلة المسلم بغير المسلم •

١ - وصلة المسلم بالله أساس العبودية الخالصة مع وحدانية مطلقة •

٢ - وصلة المسلم بالMuslim أساسها الأخوة بالله « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يتسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » ، على هذا الأساس عرض سعد بن أبي الأنصاري على عبد الرحمن بن عوف « المهاجر » أن يشاطره ماله ، وأن يُطلّق له إحدى زوجتيه ليتزوجها ، فضرب الأنصار بذلك مثلاً في الأخوة لا نظير له في تاريخ الإنسانية كلها •

ولم يستغل المهاجرون هذه العاطفة الكريمة في إخوانهم الأنصار ليعيشوا كليين عليهم ، بل أخذوا يسعون ويكدون في سبيل العيش ، فاشتعل بعضهم بالتجارة في أسواق المدينة^(١) ، واشتعل بعضهم بالزراعة في أرض الأنصار •

لقد كانت هذه الأخوة شيئاً جديداً على المجتمع العربي الذي قطعت أوصاله عصبية القبيلة ، وفككت روابطه قرابة الدم ، بل كانت نوعاً فريداً في تاريخ الأخوة الإنسانية ، قضى على كل تعصّب للجنس واللون والقرابة والوطن •

(١) جاء في (أسد الثابة) ج : ٢ ، ص : ٣٤٩ ، وج : ٣ ، ص : ٢٨٠ في ترجمة سعد بن أبي عبد الرحمن بن عوف ، أن سعداً قال لعبد الرحمن : إن لي مالا فهو بيتي وبينك شطران ، ولني امرأتان فانظر أيهما أحببت أخالمها ، فإذا حللت فتزوجها ، فقال عبد الرحمن : لا حاجة لي في أهلك ومالك ، باورك الله في أهلك ومالك دلوبي على السوق •

٣ - وصلة المسلم بغير المسلم أساسها الأخوة الإنسانية^(١) «الخلق كلام عيال الله، وأحبيهم إلى الله أنفعهم لعياله» ٠

٤ - أصبح المسلمين منافساً جديداً لليهود، فبدأ كيدهم وحقدتهم العميق على الإسلام وال المسلمين ، وكانوا أولى الناس بأن يؤمنوا بمحمد ﷺ ، مصداقاً لما بين أيديهم من الكتاب ، موافقاً لكل ما يعرفون من صفة هذا النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة ٠ فغلب الحسد والحدق على نفوسهم ، فعز عليهم أن يكون هذا النبي من العرب لا من اليهود ، وأن يناظرهم المكانة الدينية أحد^٢ غيرهم ، أو تشاركم أمةٌ أخرى في هذه الميزة التي يعتقدونها أنهم أبناء الله وأحباؤه وشعبه المختار في الأرض ، وأن الرشيل والأنبياء لا يكونون إلا منهم^(٢) ٠

ومع ذلك وقف النبي ﷺ منهم موقف رفق ، وجاد لهم بالتي هي أحسن ، وتناسي عن كثير من سيئاتهم ، وعاتبهم في هودادة ٠٠ ولكن نيران الحسد كانت تغلي في قلوبهم ، فكان هدفهم وهدف المشركين واحداً في القضاء على دعوة الإسلام ٠ فكانت لقاءات مسلحة معهم فيما بعد بسبب تآمرهم وتطاولهم ، انتهت بإجلائهم عن الجزيرة العربية ٠

٥ - ونزلت في المدينة آيات التشريع والمعاملات ٠٠٠ بعد أن كانت في مكة آيات تحض على الإيمان والصبر ٠

٦ - وبدأت تتجلّى عالمية الدعوة الإسلامية في المدينة بوضوح أكبر «بعثت إلى الأحرار والأسود» ، «أرسلت إلى الناس كافة وبي ختم النبيون» ، «أنا رسول من أدركت حياً ومن يولد بعدي» ٠

٧ - وأصبحت تجارة قريش في خطر ، في ذهابها وإيابها إلى الشام ٠ ولما

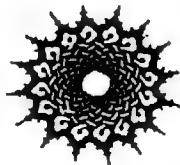
(١) عن «صور من حياة الرسول»، بتصرف ، صفحة : ٢٦٤ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص : ٢٧٣ ٠

فكرت قريش في تغيير طريق تجارتها الى نجد ، وضع رسول الله ﷺ السرايا على طريق نجد ليحقق الحصار الاقتصادي على قريش .

٩ - وظهر المنافقون في المدينة المنورة بزعامة عبد الله بن أبي " بن سلول الذي كان مرشحاً للزعامة قبل الهجرة ، ولقوة المسلمين لم يستطع المنافقون المجاهرة بكفرهم » فاتخذوا موقف النفاق فأظهروا إيماناً وابطنوا كفراً .

١٠ - وضاعفت قريش من جهودها في محاربة الدعوة الإسلامية ، فأخذت تحرّض القبائل المحيطة بالمدينة على المسلمين » وتوّلّت عليهم أعداء الإسلام في داخلها ، فكان من الطبيعي ايجاد قوة تحمي الدعوة من قريش والشركين في المدينة واليهود من حولها ، ومن المنافقين الذين اتخذوا مسجداً ضراراً . . . فكان القتال المسئّح الذي ثبّت أركان الدولة الإسلامية الناشئة بعد انتصار بدر .



خاتمة

«يا مسلمون»

إِلَيْهَا وَلَا أُبَعِّدُ

بِحَجَّةِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وهكذا عرضنا أحداث الهجرة ، وأهم نتائجها ..
الهجرة التي حققت أهدافها كلها ، وآتت أكلها وثمارها المرجوّة ..

لقد كان بناء المسجد أول عمل قام به رسول الله ﷺ عند وصوله إلى المدينة ، وهذا يدل دلالة قاطعة على أهمية المسجد في تاريخ الإسلام ، لقد كان « برمان » الأمة ، فيه عقدت الرaiات المظفرة للفتح شرقاً وغرباً ، ومنه تخرج قادة هذه الرايات الخفّاقة ..

المسجد يا مسلمون كما أراده رسول الله ﷺ ، غداً رمزاً لما يتسم به الإسلام من شمول وتكامل ، فقد أصبح مركزاً روحيّاً لممارسة الشعائر وأداء العبادات .. ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع في ساحتها أصحاب الرسول الأعظم ﷺ ، وتدار في باحاتها الندوات ، وتلقى من على منبرها المتواضع التعاليم والكلمات ،

ومؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمين فيما النظام والمساواة والمودة والتكافل
والرحمة ..

المسجد .. الخلية الأولى للبناء الاجتماعي للأسرة والجماعة ، بوصفه أداة
لصهر المؤمنين في الإسلام في وحدة فكرية ، من خلال حلقات العلم والقضاء
والعبادة والبيع والشراء ، وإقامة المناسبات المختلفة .. فلم يكن المسجد معبداً ،
أو مقرّاً للصلوة وحدها ، بل كان شأنه شأن الإسلام نفسه متكملاً في
مختلف جوانب الدين والسياسة والاجتماع ..

يا عرب ، يا مسلمون : المدينة أصبحت بعد الهجرة مُنَوِّرة ، فَبِمَ
تَنَوَّرْتَ ؟

لقد تنوّرت بأنوار رسول الله ﷺ ، وبعلمه وبروحه و بتزكيته و بركته
وبتعاليمه ..

ياعرب ، ويامسلمون : زوجات النبي الكريم أمّهاتكم ، فهو بالتالي أبوكم ،
فإلى متى الزهد فيه ، والابتعاد عنه ..

ياعرب ، ويامسلمون : « إلى هنا ولا أبعد » ، إنه المصطفى ، بدركم الذي
لا يغيب ، ونجم سعدكم الذي لا يأفل ، ولن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما هبط
عليها من سمائها ، وبما نبع فيها من أرضها ..

ياعرب ، ويامسلمون : اجعلوا نشيدكم « طلع البدر علينا » ، إن أردتم
عوده إلى عزتكم ومجدكم ، واجعلوا نشيدكم « جئت بالأمر المطاع » ، إن أردتم
عوده إلى وحدتكم وتضامنكم ..

ياعرب ، ويامسلمون : محمد بن عبد الله وحدكم ولم يفرقكم ، وجمع
شملكم ولم يشتلكم ، ووسّع رقعة أخوتكم ولم يقلصها ..

محمد بن عبد الله جعل في أمّتكم المفككة التقدم بدل التخلف ، والعز

بدل الذل ، والنصر والغلبة بدل القهر والتبعية • محمد بن عبد الله — النبي العربي — جعل النازحين اللاجئين في دولته اليهود الذين مكرروا بدين الله ، وأكبووا عليه القبائل • وعندما غابت تعاليمه ، النازحون اللاجئون هم عرب "أخرجهم اليهود •

لقد كانت الهجرة قبل فتح مكة فرضاً على كل مسلم : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفَسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِينَ آتُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أُولَيَاءِ بَعْضٍ ، وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَا يَتَمَمُ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا »^(١) ٠٠

كانت هجرة الى الله ورسوله • فمع تجميع قوى المسلمين في المدينة ، كانت الهجرة الى الله ، أي الى مجالس العلم والتربية والأخلاق والتزكية قرب رسول الله •

فيما مسلمون هجرة الى الله ورسوله ، وعن ابن عباس قال ﷺ : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، فقال الرجل : فما الهجرة ، قال النبي الكريم : تهجر السوء ، قال الرجل : فما هي المиграة أفضل ، قال رسول الله ﷺ : الجهاد » •
فيما عرب ، وما مسلمون : « لا هجرة بعد الفتح » • فهاجروا إلى الله ورسوله ، واهجروا السينات ، التي من أعظمها بعد عن الإسلام ، ونبي الإسلام •
يا عرب ، وما مسلمون : اجعلوا من إسلامكم مشاهدات في أعمال • لا أقوال ونظريات ، اجعلوه إيماناً يملأ القلوب ، وخشوة نورانية للروح ، ليراه الآخرون ثماراً في الأخلاق وفي السلوك ، وجمالاً لكل ذي عينين ، اجعلوه إسلام فضائل وأخلاق في نفوس مطمئنة بالله ، مزكاة محمية بعنابة الله ، قلوبًا متصلة بالله حتى تصبح بحراً زاخراً بالعلم والحكمة والمعرفة •

نبيك يا عرب ، والله نسيج وحده ، لقد أراد المشركون الوثنيون واليهود

(١) سورة الانفال ، الآية الكريمة : ٧٢

أن يطبقوا على الرسالة والنبوة ، كما أطبقوا على الأنبياء من قبل ، ولكن هذا محمد بن عبد الله ، فلئن نجا عيسى عليه السلام بمعجزة ، ونجا إبراهيم بمعجزة ، وموسى بمعجزة . فإن محمدَ بن عبد الله أخذ ثأر الأنبياء قبله من أعداء النبوة، وقتلهم ، وحطّم كفرهم وعنادهم ، وحققَ جيشاً ودولة عالمية إنسانية فاضلة ، متآخياً فيها الأسود مع الأبيض ، والعربى مع الأعجمي .

دینه . دین الحياة ، دین المجد ، دین النصر ، دین العظمة ، وضالة الأمم . إنه الإسلام . الذي يجمع ولا يفرق ، الذي يجعل العلوم بكل صنوفها فرضاً ، الإسلام الذي ينهض بالأمة في كل ميادينها ، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وفكرياً وتربوياً وخلقياً .

والاليوم في ذكرى الهجرة ، وفي مطلع القرن الخامس عشر الهجري ، أين هجرتكم يا مسلمون ؟ هذه أعمال النبي ، فأين أعمالكم ؟ هذه تضحيته ﷺ ، وتضحية المهاجرين والأنصار ، فأين تضحيتكم ؟ هذا صمود الراعيل الأول ، فأين صمودكم ؟ وهذا تاريخهم الذي صنعوه ، وليس عندنا ما نرفع به رأسنا إلا به ، فأعمالهم كانت للأجيال من بعدهم فخراً ومجداً وعيداً . وذكريات مشترفة ، فأين تاريخكم الحاضر الذي تفخرون به ؟

أين هجرتنا ؟! وصاحب ذكرى الهجرة يقول « لا هجرة بعد الفتح » ، أي لا هجرة جسدية من مكة إلى المدينة ، لأن مكة صارت دار إسلام . ولكن الهجرة مستمرة لا من أرض إلى أرض ، بل هجرة من الجهل إلى العلم ، وهجرة من الغفلة إلى الذكر ، وهجرة من البعد إلى الصلة به سبحانه .

هجرة من البخل إلى البذل والعطاء ، هجرة من اللغو إلى الجد والهمة والعزمية ، هجرة من الرذائل إلى الفضائل ، ومن الشر إلى الخير ، ومن البطالة إلى العمل .

هاجروا وذكر الله هجرتكم ، والهجرة ثمرة وفرع من شعب إيمانهم ،

والإسلام بضع وسبعون شعبة ، فإن وجـد الأصل ووـجدت الشجـرة ، وـجدـت الفروع ، وـجدـت الشـمار ، ومن ثـمار الإيمـان والإسلام في المؤمنـ الـهـجرة ، فإذا دعـاك الله إـلـى عمل فـهـذه هـجـرة « فـالـهـاجـرـ من هـجـرـ ماـنـهـيـ اللهـ عـنـهـ » .
وـالمـؤـمـنـ الحـقـ الـيـومـ : « مـهـاجـرـ أـنـصـارـيـ » ، مـهـاجـرـ إـلـى اللهـ فيـ كـلـ أـعـمـالـهـ ،
وـأـنـصـارـيـ فيـ إـخـوـتـهـ معـ المـسـلـمـينـ .

فيـا عـربـ ، وـيـا مـسـلـمـونـ : إـلـى هـجـرةـ روـحـيـةـ قـلـبـيـةـ إـلـى اللهـ ، وـهـجـرةـ فـكـرـيـةـ
إـلـيـهـ ، هـجـرةـ أـعـمـالـ وـأـخـلـاقـ وـالـتـزـامـ .

لـقـدـ كـانـتـ الـهـجـرةـ ثـمـرـةـ منـ ثـمـرـاتـ تـرـبـيـةـ رـسـوـلـ اللهـ ، اـسـطـلـاعـ آـنـ يـقـنـعـمـ آـنـ
يـخـرـجـوـاـعـنـ كـلـ شـيـءـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ ، فـهـلـ عـنـدـكـ أـيـهـاـ الـمـسـلـمـ قـنـاعـةـ آـنـ تـبـذـلـ مـاـعـنـدـكـ
فـيـ سـبـيلـ اللهـ ؟

فـيـا عـربـ وـيـا مـسـلـمـونـ .. اـهـجـرـوـاـكـلـ ماـسـوـيـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ ..
وـاهـجـرـوـاـكـلـ ماـسـوـيـ دـيـنـكـ الـذـيـ اـرـتـضـاهـ اللهـ لـكـ .. فـأـتـمـ مـهـيـئـوـنـ الـيـومـ
لـلـقـيـامـ بـالـدـورـ تـفـسـهـ الـذـيـ قـامـ بـهـ الـمـهـاجـرـوـنـ وـالـأـنـصـارـ ، بـعـودـتـكـ إـلـىـ ذـاتـكـ ..
وـمـصـدـرـ وـحدـتـكـ وـعـقـيـدـتـكـ . يـقـولـ عـزـ وـجـلـ :

« فـاستـجـابـ لـهـمـ رـبـهـمـ أـنـيـ لـأـضـيـعـ عـمـلـ عـاـمـلـ مـنـكـمـ مـنـ ذـكـرـ أوـ أـشـ،
بعـضـكـمـ مـنـ بـعـضـ ، فـالـذـينـ هـاجـرـوـاـ وـأـخـرـجـوـاـ مـنـ دـيـارـهـمـ وـأـوـذـواـ فـيـ سـبـيلـيـ
وـقـاتـلـوـاـ وـقـتـلـوـاـ الـأـكـفـارـ نـعـنـمـ سـيـئـاتـهـمـ وـلـأـدـخـلـتـهـمـ جـنـاتـ تـجـرـيـ مـنـ تـحـتـهـا
الـأـنـهـارـ ثـوـابـ مـنـ عـنـدـ اللهـ ، وـالـهـ عـنـدـهـ حـسـنـ الشـوـابـ »⁽¹⁾ .

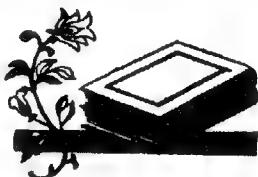
« إـنـ الـذـينـ آـمـنـواـ وـالـذـينـ هـاجـرـوـاـ وـجـاهـدـوـاـ فـيـ سـبـيلـ اللهـ أـوـلـتـكـ
يـرـجـوـنـ رـحـمـةـ اللهـ ، وـالـهـ غـفـورـ رـحـيمـ »⁽²⁾ .

(1) سورة آل عمران ، الآية الكريمة : ١٩٥ .

(2) سورة البقرة ، الآية الكريمة : ٢١٨ .

«والذين هاجروا في الله منْ بَعْدِ مَا ظلَّمُوا النَّبِيَّنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ،
وَالْأَجْرُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^(١) .

«الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ
دَرْجَةً عِنْدَ اللَّهِ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ
وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ»^(٢) .



(١) سورة التحليل ، الآية الكريمة : ٤١ و ٤٢ .

(٢) سورة التوبة ، الآية الكريمة : ٢٠ و ٢١ .

المحتوى

٥	تصدير
١١	الهجرة إلى الحبشة
١٤	* أسباب الهجرة إلى الحبشة
١٦	* طلب المهاجرين من النجاشي
١٨	* بين المهاجرين وبين النجاشي
٢١	* المهاجرون يفرون بانتصار النجاشي
٢٢	* ازدياد حقد قريش بإسلام عمر بن الخطاب
٢٣	* المقاطعة
٢٤	* العائدون من أرض الحبشة
٢٥	* نقض الصحيفة
٢٨	* أسئلة عديمة تطرح نفسها بما سبق من أحداث
٣٤	قبيل الهجرة
٣٦	* الرسول ﷺ في الطائف ، و موقف ثقيف منه
٣٩	* من تنتائج رحلة الطائف
٤٢	* رسول الله ﷺ يعرض نفسه على القبائل
٤٦	* ملاحظات حول ما سبق
٤٨	* طلائع الفجر ، بيعة العقبة الأولى « بيعة النساء »
٥٠	* نظرات في بيعة العقبة الأولى

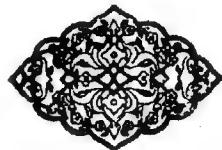
٥٢	بيعة العقبة الثانية ، بيعة العرب ، البيعة الكبرى
٥٧	* نظرات في بيعة العقبة الثانية
٦٢	نزول الأمر بالقتال
٦٩	المهاجرون إلى المدينة
٦٩	* طلائع المهاجرين إلى المدينة
٧١	* ملاحظتان
٧٣	* هجرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٧٦	هجرة الرسول الأعظم ﷺ
٧٧	* في دار الندوة « الاتصال من الآيذاء إلى الافاء »
٨٣	* إلى غار ثور
٨٧	* جنون قريش
٩٠	* معجزات ثلاث
٩٢	* في غار ثور
٩٤	* الوداع
٩٥	* ركب يمضي على بركة الله وعانته
٩٧	* سراقة بن مالك بن جعشن المدلعي
٩٩	* حديث أم معبد
١٠١	* ذكاء أبي بكر الصديق
١٠٣	* الركب المبارك في قباء
١٠٢	مسود الهجرة
١٠٧	* بناء مسجد رسول الله ﷺ
١٠٧	* في بيت أبي أيوب الانصاري
١٠٨	* أول خطبة لرسول الله ﷺ في المدينة

١٠٩ * الرسول ﷺ يوادع اليهود
١١٣ * المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

١١٧ نتائج الهجرة

١٢٤ خاتمة :

يا مسلمون «إلى هنا ولا أبعد» .
«هجرة إلى الله ورسوله»



المؤلف

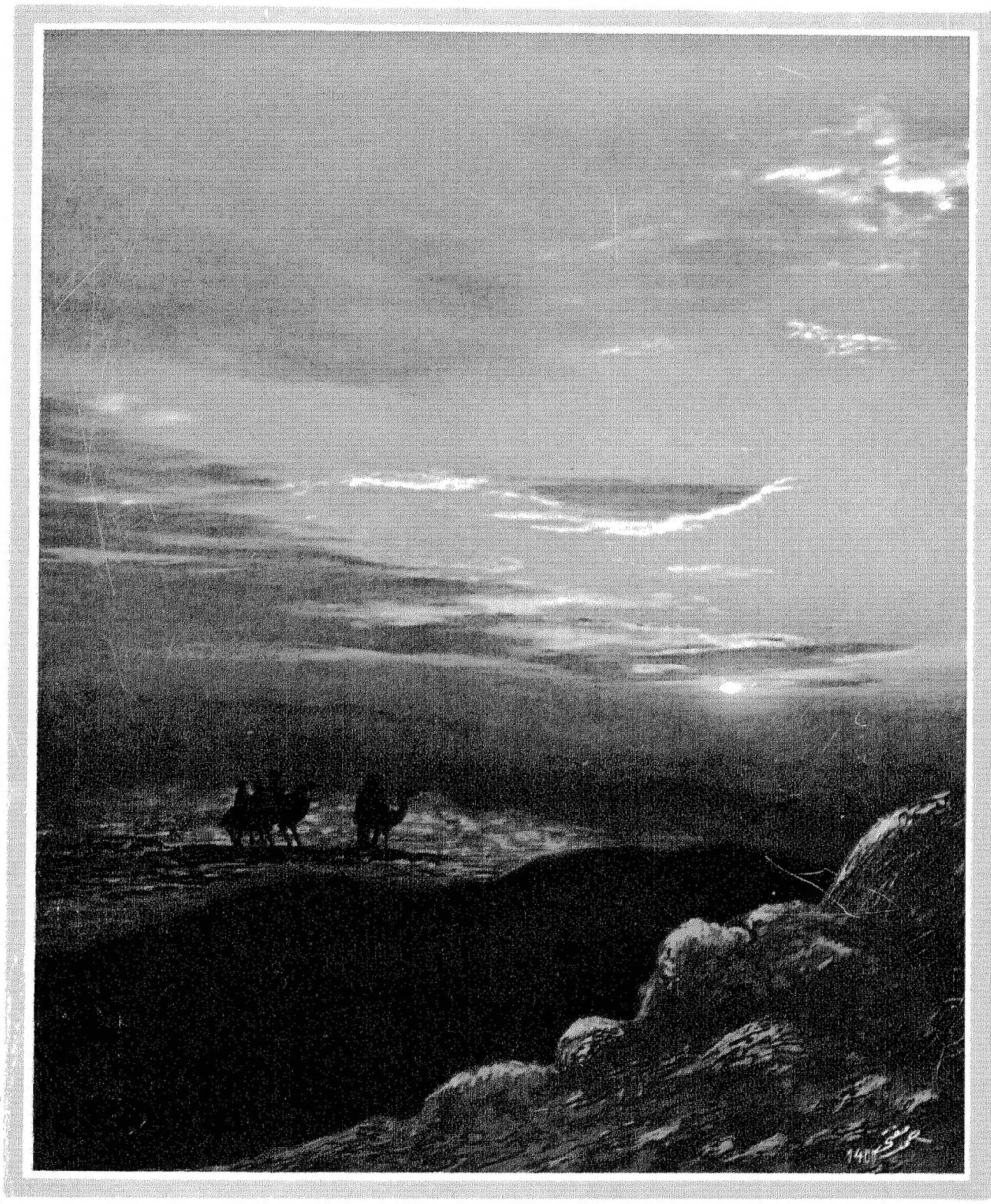
صدر من سلسلة « المعارك الكبرى في تاريخ الاسلام » الاجزء التالية :

- | | |
|------------------|---|
| ١ — القادسية | بقيادة سعد بن أبي وقاص • |
| ٢ — اليرموك | بقيادة خالد بن الوليد • |
| ٣ — نهاوند | بقيادة النعمان بن مقرن المزنبي • |
| ٤ — ذات الصواري | بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي سرح • |
| ٥ — فتح الأندلس | بقيادة طارق بن زياد • |
| ٦ — ملاط الشهداء | بقيادة عبد الرحمن الغافقي • |
| ٧ — فتح صقلية | بقيادة أسد بن الفرات • |
| ٨ — الزلاقة | بقيادة يوسف بن تاشفين • |
| ٩ — الأررك | بقيادة المنصور يعقوب الموحدي • |
| ١٠ — العِقَاب | بقيادة محمد الناصر بن يعقوب الموحدي • |
| ١١ — مصرع غرناطة | « أبو عبد الله الصغير آخر ملوك بني الأحرم » • |

* * *

- ١٢ - الإسلام فوق الاتمام
- الطبعة الرابعة •
- « ترجم الى اللغة الفارسية » •
- الطبعة الثانية •
 - الطبعة الثالثة •
 - الطبعة الثانية •
 - الطبعة الثالثة •
 - الطبعة الأولى •
 - الطبعة الثانية •
 - الطبعة الأولى •
 - عوامل النصر والمزيد عبر تاريخنا الإسلامي
 - الطبيعة الأولى •
 - الطبيعة الأولى •
- ١٣ - من ضيئع القرآن ؟
- ١٤ - الإنسان بين العلم والدين
- ١٥ - هارون الرشيد
- ١٦ - غريزة أم تقدير إلهي ؟
- ١٧ - آراء يهدّمها الإسلام
- ١٨ - الإسلام وحركات التحرر العربية
- ١٩ - الهجرة « حدث غير مجرى التاريخ »
- ٢٠ - الطبيعة الأولى •

« بطلب من دار الفكر بدمشق »



دار الفکر لطبعاً و التوزيع والتشریف
دمشق - سوريا
من بـ ٤٣٢ - تلکس FKR
SY ٤٣٢٦٥

To: www.al-mostafa.com